سقراط وأفلاطون وأرسطو
والفارابي وابن سينا
وإخوان الصفا

سقراط

(مختصر)

الدكتور
مصطفى غالب

إعداد
حياة شمس الدين

المقدمة

إذا تعمَّقنا بالمحاورات الفلسفية التي كتبها أفلاطون، تلميذ سقراط ومساعِدَهُ الأيمن، والدفاع الذي ألقاه سقراط أمام المحكمة، التي أصدرت حكمها الجائر عليه بالإعدام، لرأيناها تجسد فلسفة سقراط الروحية، وعقائده عن الدنيا والآخرة والمبدأ والمعاد.

وقد وضع سقراط الركائز الأساسية لعلم التوحيد والتجريد والتنزية، بالإضافة إلى وضع مداميك الأخلاق السامية والمثالية التي تهدف إلى الكمال المطلق للنفس البشرية، أثناء وجودها في هذا العالم الدنيوي.

والمحاورات الأفلاطونية، كانت تهدف إلى عرض افكار سقراط العرفانية بقالب عقلاني.

كان سقراط كثير السؤال، قليل الجواب يحاوره من يحدّثه، ويأخذه بمهارة إلى غاية أخلاقية، يهدف إليها منذ بدء الحوار.

كان يحاول أن يوقظ الناس من غفلتهم حتى لا ينقادوا إلى ما ورثوه من أفكار وأوهام، ويحاول بأسلوب علمي صحيح أن يثير فيهم غريزة البحث عن المعاني الصحيحة للأخلاق.

سيرة سقراط وحياته

ولد سقراط في أثينا عام 469ق.م، عندما أصبح شاباً التحق بصفوف الجيش وأظهر شجاعة وإقدام.

لما بلغ الخمسين من عمره تزوَّج من امرأة شرسة ونزقة، مما جعل من سقراط يقول قوله الشهير: «تزوَّج يا بني، إن لم توفَّق أصبحت فيلسوفاً».

يقال أن سقراط لم يكن جميل الشكل، ولم يكن ذلك التمثال النصفي الذي وصل إلينا من النحت القديم، يدل على ذلك اللطف الإنساني وتلك البساطة الوديعة اللذين جعلا من سقراط، ذلك المفكر والمعلم الودود الذي استقطب حب معظم شباب أثينا، الذين كانوا يحتشدون ويسيرون معه أينما سار في زوايا المعبد الذي كان يقصده.

ومن هؤلاء الشباب، كان الأغنياء والأرستقراطيون كأفلاطون، والاشتراكيون والفقراء والمعجبين بفقر سقراط وتواضعه والحالمين بعالم يكون جميع أهله أحرار.

كان سقراط من الحكماء الذين وقفوا أنفسهم ومعرفتهم على نشر مبادىء الحق والعدالة والمساواة، ومحاربة الفساد والضلال، وشنَّ حروباً شعواء على الاعتقاد بتعدد الآلهة، وأوّل من مهَّد لظهور الدين المسيحي.

ويعتبر سقراط المعلم الأول الذي طلب من الناس، أن يكونوا محبين للحقيقة لا من أجل فائدة أو مكسب دنيوي أو أخروي، بل من أجل الحقيقة ذاتها، وإعلاء قيَم الحق والعدل.

وقد جاء فلاسفة قبل سقراط، كانوا عظماء كفيتاغورس، وطاليس، وهرقليط، لكن معظمهم كانوا فيزيائيين، واهتموا بالأمور الطبيعية، وقوانين الوجود المادي وقد علَّق سقراط على إنتاجهم، فقال: هذا جيّد ولكن الأهم من هذه العلوم المادية من كواكب ونجوم وأفلاك هو العقل البشري وماهيَّة الإنسان، وماذا يمكن أن يعود إليه بعد أن يخلع بدنه ويترك عالم الدنيا بالموت فلا بد للحكماء والفلاسفة معرفة النفس الإنسانية، ورفع الأقنعة عن الفرضيات والوصول إلى اليقينيات في قضايا الحياة والموت، وكيف يمكن زرع وتطوير القِيَم الأخلاقية، وإنقاذ البلاد من الجهل، هذه الأفكار دفعت بسقراط إلى براثن الموت والخلود، لأن الناس كانت تؤمن بتعدد الآلهة وتقدم القرابين لها. كان سقراط يؤمن بالإله الواحد، وبأن الموت لا يقضي على الإنسان.

كانت نخبة من أهل أثينا، قد أثرَّت ودمَّرت الإيمان الذي كان عامراً في قلوب بعض الفئات من المجتمع، وعملوا على زرع الخوف الذي سيطر على الشعب بكامله من القوّة الموهومة للأرباب من الآلهة المتعددة والموزّعة في كل مكان، مما أدى إلى إضعاف معنويات الفرد وتفكيك المجتمع في أثينا، ومما سهَّل وقوع أثينا لقمة سائغة في فم الإسبراطيين.

كانت الدول التي تدّعي الديمقراطية، تقودها نخبة من أهل الغوغاء والجهل في مجتمع يسوده الجدل والنقاش، من دون التقيُّد بأي قيم أخلاقية، وكان السؤال، من ينقذ هذه الدولة وهذا المجتمع، ويزرع القيم الأخلاقية ويطورها؟

والجواب: فكر سقراط الذي يؤمن بإله واحد، وبأن الموت لا يدمِّر الإنسان.

ولكن كيف يمكن له أن يؤسس لشريعة أخلاقية متينة دائمة، على مفاهيم لاهوتية مشكوك في أمرها، وهي صحيحة بالنسبة للملحدين، فهي لن تؤثر إلا في فئة قليلة من ذوي الإرادة القوية، لمواطنين مسالمين في المجتمع.

وهل بمقدوره تعليم الناس وإرشادهم ليروا مصالحهم الحقيقية بوضوح، وأن ينظروا بعيداً إلى نتائج أفعالهم؟

ولا يتأثروا بهؤلاء السفسطائيون الذين يعتمدون على الجهل والرؤية المتحيزة الحمقاء، والفوضى المستقرّة في نفوسهم، وعلى السُّنن المكررّة التي تردِّد الإعتقاد الخاطىء بشكل دائم، والإنزلاق إلى تقليد الوحوش الذين يتصرفون بالغريزة العمياء، وبأسلوب تلقائي، لا رويَّة فيه ولا حكمة. وكيف نستطيع إقناع الفرد، بطاعة القوانين التي يكون فيها المنفعة والخير العام للجميع.

إن تغيير المجتمع لا يقوم إلا بقيادة أعظم رجاله حكمةً.

أظهر سقراط رغبة في الحصول على الحكمة، وهو ما يزال في سن صغيرة، وقد تأثَّر بفيتاغورس، وراح يهذِّب نفسه، وقد عرَّف الحكمة بأنها «كمال العلم لكمال العمل». واتّخذ شعاراً له: «اعرف نفسك بنفسك» ومن ناحية الأخلاق، كان يغالب مزاجه الحاد، ويقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل.

ولمّا وُفِّق لتركيز دعائم أفكاره، أظهر فلسفته لأهل أثينا، فأخذوا يُقبلون عليه رغم دمامة شكله، وتكوين وجهه غير العادي، معجبين بحديثه السلس البليغ، وأسلوبه السهل البسيط، وبراعته في الحديث. وقد حاول سقراط إصلاح، ما أفسده السفسطائِيون، ويدلَّهم على مسالك الحق والخير والجمال، ليؤسس لوطنه مستقبلاً مشرقاً.

كان يسأل في حلقات واسعة، تضم مختلف الناس من العلماء والشعراء، عن العلوم التي يعرفونها، ويبيّن لهم أنهم لا يعرفون شيئاً، وإنما يصدرون الأقوال بمجرد التخمين والظن، وهذا مخالف للعلم، ويعتقد سقراط أن في عنقه أمانة سماوية وأن الله أقامه مؤدِّباً مجانياً، يقبل بالفقر ويزهد بمتاع الدنيا ليؤدي رسالته الحقّة.

بالإضافة لذلك، كان جندياً شجاعاً اشترك في حربين لمدةٍ طويلة، يدافع عن وطنه، وقد نجا من الموت في إحدى المعارك. بعدها دخل إلى مجلس الشيوخ، فعُرف بالنزاهة والاستقلال، وله مواقف مشهورة جهَرَ فيها بالحق والعدل.

وبعد أن انقضت مدة انتخابه، عاد إلى سابق عهده من البحث والإرشاد إلى أن بلغ السبعين من عمره.

سقراط وأفكاره العقلانية

يقول أفلاطون: أن سقراط أوجد أسلوباً جديداً في فلسفته العرفانية، وفي محاوراته وهو كان يتصنَّع الغباء ويتظاهر بالإقرار مما يسمعه من آراء مجادليه، ويعمد إلى طرح الأسئلة، ويستدرج محاوريه ليقولوا ما عندهم من أقوال، وهدفه إظهار فساد عقولهم وعلومهم، فيظهر جهلهم ثم يبسط الحقائق أمامهم بأسلوبه الحكيم العارف بالأسرار والخفايا، وقد كانت أفكاره واضحة ومنطقية، تهز المشاعر وتخلب الألباب فيسأل مثلاً: عن الخير والشر، وعن الفرق بين العدل والظلم، وما هي الحكمة وما هو الجنون، وما هي الشجاعة، وما هو الجُبن، وما هي التقوى وما هو الإلحاد، هكذا...

وكان السفسطائيون يقعون في المغالطة وإبهام المعاني.

وقد ميَّز سقراط بين العقل والإحساس وابتعد عن علوم الطبيعيات والرياضيات وغاص في أعماق الإنسان، وانحصرت فلسفته في علم الأخلاق.

يقول أحد العلماء عن سقراط، أنه أنزل الحكمة من السماء إلى الأرض، وأنَّه حوَّل النظر من الفلك والفيزياء، إلى النفس الإنسانية.

فقال: الإنسان روح، وعقل يسيطر على الأحاسيس ويديرها، والعقل السليم الحق، هو مطابق للطبيعة الحقّة التي رسمها الله في قلوب البشر،

فمن يحترم القوانين العادلة، يحترم العقل والنظام الإلهي، وقد يحتال البعض ويخالفها في هذه الدنيا، ولكنه سيأخذ القصاص في الحياة المقبلة، والإنسان الخيِّر، يهرب من الشر حتماً، أما الإنسان الشرير، الشهواني لملذات الحياة، فهو جاهل نفسه وخيره، وهو لا يعرف أنه يرتكب الشرَّ عمداً من أجل ذلك، فإن الفضيلة، هي علم والرذيلة هي جهل.

وأغلب أفكار سقراط تتحدث عن ضرورة تهذيب النفس الإنسانية، وإمدادها بالعلوم العرفانية، والعقلانية، لتنتقل من قوَّة العلم، إلى قوة الفعل.

وعليها قبل كل ذلك، أن تتعلم العلوم التوحيدية والتجريدية والتنزيهية، لأنها المبدأ الأول للعلوم كلِّها.

وقد اتُّهم سقراط بإفساد عقول الشباب وحثهم أن يكفروا بالآلهة المتعددة للمدينة، وأن يعبدوا إلهاً واحداً.

وقد يسأل سائل، لماذا يُصرّ سقراط عن أداء رسالته؟ فيجيب بأن ذلك واجب عليه وأن الله اختاره لهذه المهمة، كما كان قد قام بواجبه، في حرب الأعداء وأطاع القادة، وأنه يؤثر طاعة الله على طاعة الإنسان، وليتعلم الناس من بعده على وجوب الفضيلة وضرورة الإصلاح، وإن أعرضوا عن تعاليمه، فسوف يؤنّبهم ويلومهم، وإن هدّدوه بالموت، فالموت أحب إليه ألف مرَّة من السكوت عن الفساد والشرّ، ولأن ذلك هو طاعة لله.

ولمّا صدَرَ الحكم بإدانته، رفض أن يطلب الرحمة من القضاة لإطلاق سراحه، ولم يلين ولم يضعف، بل بقي شامخاً بكبرياء وكرامة، وقال لقضاته أنه قد هرِم وكبر في السن، وإن أرادوا أن يسلبوه السنوات القليلة الباقية من حياته، فلن يفرَّ من أجلها، ولكنهم سيجلبون العار لأنفسهم بقتله.

وكان سقراط يستطيع الفرار، ولكنه لم يفعل لأنه لا يؤثر إطالة حياته، فالموت خير له من أن يعيش كما يريد الناس، وأن خطيئة قضاته، هي

أفدح مصاباً من مصيبته، فإن هو لقي عقوبته بعد حين، فقد لقي القضاة عقابهم قبله.

ويقول سقراط أنه إذا مات، سيكون نواةً تنتج الكثير من الأتباع، وأن الموت المقبل عليه، هو خيرٌ لا شرّ فيه، ذلك لأن الموت إما أن يكون نوماً طويلاً، وهذا أحلى ضروب النعاس وإما أن يكون سياحة إلى العالم الآخر، حيث تحتشد أرواح الأبطال الذين سبقوه، وأنه من المستحيل للإنسان الطيب أن يصيبه شر لا في حياته ولا في مماته.

وهو سيعفو عن قُضاته لأنهم لم يؤذوه بقضائهم فيه، بل بالعكس من ذلك، فهم ساقوه للخير، وإن كانوا لم يقصدوا ذلك، وينهي سقراط القول بطلب أخير يقول فيه: قد كرَّست حياتي لله، فعشت فقيراً معدماً لأدعوكم إلى الخير، وأنا لا أكلمكم الآن من أجل نفسي كما تظنّون، ولكن من أجلكم حتى لا تسيئوا إلى الله ولا تكفروا بنعمته، وقد أكون قد أزعجتكم لأني أيقظتكم من سباتكم العميق، وأنتم أردتم موتي لتعودون إلى الرقاد بقية حياتكم، وقد يشفق عليكم الله ويبعث لكم من يوقِظكم من جديد، لقد جئتكم، كما الوالد الرحيم أو الأخ الكبير لأحملكم على الفضيلة حملاً، بدون أجر سعيت إليه، والدليل على ذلك فقري وحاجتي.

وقد يعجب بعضكم كيف أطوف على الناس، واحداً واحداً لأُسدي النصح إليهم، وأهتم بأمورهم، وقد كان ذلك الوحي منذ طفولتي، وقد كنت مؤدياً رسالتي، وأنا رجل من لحم ودم لا من خشب وحجارة.

وهل هذا جزاء من أحسن إليكم وحاول أن يعلّمكم ما هو خيركم وصالحكم.

وأنا أعتقد أنني أحق بالجزاء والعطاء ممن يقيم حفل الأولمبياد لسباق الخيل، فهو يعطيكم سعادة محدودة، وظاهرية، وأنا أدلكم على السعادة الحقيقية والدائمة.

أنظروا إلى حياتي وأنا في هذه السنّ الهرِمة، مشرّداً من بلدٍ إلى بلد، وآباء الشبان الذين يلتفون حولي أينما حللت، يسعون لطردي ولمعاقبتي، ولو أني طردت هؤلاء الشباب لكان ذلك عصياناً مني لأمر الله.

وأنا لا أستطيع أن أسكت عن الظلم والجهل، وهذه الحياة لا تخلو من امتحان النفس. والساكت عن الشر ليس جديراً بالحياة يا أهل أثينا! لن تستفيدوا بقتلي إلا أمداً قصيراً، وستدفعون ثمن ما قمتم به، وسيقال عنكم أنكم قتلتم سقراط الحكيم. ولو أنكم صبرتم قليلاً لحصلتم على ما تريدون، لقد طعنت في السن كما ترون ودنا أجلي، وأحب أن أقول لكم، إني لن أطلب العفو منكم كما تعودتم أن تسمعوا من الناس عند ساعة الخطر ولا آسف على كل ما قمت به، ولو أدَّى ذلك إلى موتي.

ليس عسيراً على المرء أن يفرَّ من الموت، ولكن العسر كل العسر، أن يتجنَّب الأخلاق الفاسدة، فالفساد والموت يركضان في أعقابنا، ولكن الفساد أسرع من الموت عدواً، وكل منا يسير في الطريق التي اختارها، فها أنتم أسرع إلى الفساد، وقد قال الحق كلمته بأن تكونوا في الموقع الأدنى، وأحسب ان القدر حكم علينا جميعاً بما جرى وسيجري. وأحب أن أعلمكم أيها القضاة، وأنا مشرف على الموت، أنها الساعة التي يوهب فيها المرء الحياة السامية والأبدية.

أما أنتم فسينزل بكم ما هو أشد هولاً، ولن تفلتوا من العقاب، وسيكون الذين يتهمونكم أكثر عدداً منهم اليوم، وستذوقوا العذاب.

وإذا كنتم تظنون أنكم تتخلصون مني بالقتل، كي لا أنغصّ عيشكم فأنتم مخطئون فهذا لا يشرفكم، وكان أشرف لكم وأيسر أن تبادروا لإصلاح أنفسكم، وهذه نبوءتي لكم قبل رحيلي.

أما أنتم أيها الأصدقاء الذين سعوا إلى براءتي، أحب أن أدلكم على هذا الذي وقع، وأنتم في الحقيقة قضاة الحق، واعلموا أن كل ما حصل لي

هو الخير، ويخطىء من يظن بأن الموت هو شر، فهو شر لمن كان شريراً، ولكن الموت للأخيار، إما أن يكون غيبوبة تامَّة، وإما أن يكون انتقال النفس من عالم إلى آخر، فإن كان رقدة هنيئة غير منزعجة بالأحلام والوساوس، فهي أبهج من كل الليالي، ولا أحسب أحداً حتى من أعظم الملوك، قد مرَّت عليه ليلة واحدة مثلها.

وإن كان الإرتحال إلى مكان آخر فيه كل أبناء الله ومحبوه الذين عمّروا حياتهم بأقوم الأخلاق وأحسنها فما أحب للنفس من ذلك الإرتحال وهل يخاف المرء أن يذهب ليرافق ويتكلم مع الحكماء الذين سبقوه، مع أورفيوس وهزيون وهوميروس وغيرهم، فأنا سعيد بالموت ولو كان أكثر من مرَّة، بل مرَّات عديدة، فأصادف متعة رائعة بالحديث مع الأبطال القدامى الذين تجرّعوا الموت بسبب الطغاة الظالمين، وهم قد تألّموا أكثر مني، وهناك سأكمل البحث عن المعرفة في ذلك العالم الآخر، وسأكتشف من هم الحكماء الحقيقيون ومن هم المزيفون.

ألا ما أعظمها من غبطة لا توصف، وأنا أتحدث معهم وأحاورهم، وستكون لي كل الحريَّة وأتكلّم بما أشاء ولن يكون هناك ظالم ولا ظالمون. وسأرى متعة السعادة الخالدة التي عزَّت عليَّ في هذه الدنيا.

وأما الآن، فأنا لست حاقداً ولا غاضباً عمَّن حكم عليّ بالإعدام، وسأغفر لمن أساء إلي، ولكن قد أعاتبهم غداً عتاباً رقيقاً.

وأخيراً وصيتي لكم أيها الأصدقاء إذا ما شبَّ أبنائي أن تكونوا قساةً معهم وأن تنزلوا بهم العقاب إذا لم يهتموا بالأخلاق الفاضلة وإذا ادّعوا أنهم صالحون، وهم في الحقيقة ليسوا كذلك، فعليكم أن تحاسبوهم على إهمالهم، وسأكون قد نلت العدل على أيديكم.

لقد أزفت ساعة الرحيل، وسينصرف كل منا إلى سبيله، فأنا إلى الموت، وأنتم إلى الحياة، والله وحده يعلم أيهما الخير.

أفلاطون

(مختصر)

الدكتور
مصطفى غالب

إعداد
حياة شمس الدين

أفلاطون

تأليف الدكتور مصطفى غالب

مقدمة

يمتاز أفلاطون، هذا العبقري العظيم والحكيم، بأن نظرياته وآراؤه العميقة المتخلقة بأخلاق الكمال والمثالية. قد أثّرت في الفلسفة العربية. والحكمة الإسلامية تأثيراً فعّالاً.

وخاصة بعلم التوحيد، وعلم الاصول، وحدوث العالم، والمبدأ والمعاد، وخلود النفس الإنسانية.

ويُلاحَظ أن الأفكار الأفلاطونية، قد سيطرت على المدارس الصوفية في الإسلام بسبب ميلها إلى المثالية التي تدعو إلى عدم الإهتمام بالملذات المادية، وإلى تطهير النفس وطلب الكمال، والتخُّلق بأخلاق الباري سبحانه وتعالى. والروح الأفلاطونية ظاهرة بقوَّة عند الفلاسفة العرب والمسلمين، وخاصة فيما يتعلق منها بالنفس.

فالنفس عندهم كما عند أفلاطون، هي جوهر روحاني إلهي شريف وبسيط وخالد، قادر على التجاوز من عالم الحواس والأبدان، إلى عالم الربوبية والصفاء.

يقول الفلاسفة، أن النفس في هذه الدنيا هي عابرة سبيل، والعجب من الإنسان كيف يهمل هذه النفس الشريفة، ومقامه في هذا العالم المحدود، ثم ينتقل إلى العالم الحقيقي ويبقى إلى أبد الآبدين!!

نرى أن الفارابي، وابن سينا، وإخوان الصفا، والكندي، وابن رشد، وغيرهم من كبار الفلاسفة العرب، يكثرون في كتاباتهم الفلسفية من ذكر أفلاطون، في معرض كلامهم عن النفس، وأنها نور من الباري عز وجل، فإذا هي خلعت البدن، علمت كل ما في العالم. وقد انتقلت افكار وآراء أفلاطون إلى العرب، ثم تُرجمت إلى اللغات الاوروبية.

وقد أودع أفلاطون في كتابه الخالد «الجمهورية» سياسته وأخلاقه ونظرياته، وجاء من بعده تلميذه أرسطو.

حياة أفلاطون :

ولد أفلاطون في «اثينا» عاصمة اليونان سنة 427 ق.م .

تثقف بعد ذلك ثقافة عالية، وأقبل على العلوم وأظهر ميلا خاصاً للرياضيات. وأخذ الحكمة من «فيثاغورس»، ثم تعرَّف على «سُقراط».

وأعجب بعمله، وكان يميل إلى الحكمة.

كان في الثالثة والعشرون من عمره، عندما كانت تحكم بلاده، الطبقة الارستقراطية، وقد طغوا وبغوا، وملأوا الارض فساداً.

فامتلأ قلب أفلاطون هماً وغماً، ولماّ قامت الثورات ضدهم، وهزمهم الشّعب، وقامت الديمقراطية فأنصفت الناس بعض الشيء، ولكن هذه الديمقراطية أعدمت سقراط، فيئس أفلاطون من السياسة، وأيقن ان الحكومة العادلة لا تُرتجل إرتجالاً وإنما يجب التمهيد لها بالتربية

والتعليم، فقضى حياته يفكّر في السياسة، ويمهد لها بالفلسفة، ولم تكن له قط أي مشاركة عملية فيها.

وبعد موت أستاذه سقراط، حزن عليه حزناً شديداً، فاعتزل الحياة العامة، وغادر أثينا، وصار ينتقل من بلد إلى بلد، وقد اتصل بأقليدس الرياضي، واطّلع على كتب عرفانية كثيرة، ثم عاد إلى وطنه.

انشأ في اثينا مدرسة عام 387 ق.م وقد سمّيت «أكاديمية» لانها تطلّ على بستان اكاديموس.

استقر فيها أفلاطون، وصار يلقي دروسه وحِكَمَه، وإرشادته،

ومواعظه، ويؤلف الكتب ويجرى المحاورات العلنية، حتى مات عن عمرٍ يناهز الثمانين، محاطاً بتلاميذته ومريديه وأتباعه الذين كانوا يُحبّونه، كما كان هو يحب معلمه سقراط.

ولمّا توفي أفلاطون، وكان لا يملك شيئاً يُذكر، ولكن مشى بجنازته كل سكان أثينا، وقد ترك أفلاطون آثاراً فكريه، وبحراً من العرفان الواسع، ويغرف منه طالبي الحكمة، ومحبّي الفضيلة والمثالية، وقد غاص في اعماق النفس البشرية، وعرفها حق المعرفة.

وكان قد قرأ شعراء اليونان، ونظم الشعر ولكنه بعد ان تعرّف على سقراط وسمع له، ترك الشعر ومال إلى الحكمة، وأحبَّ الموسيقى، ووضع كتباً في الالحان. وقد ترك أفلاطون موسوعة ضخمة عن الجمهورية المثالية، تضم علم النفس وعلم التربية والسياسة وعلم الاجتماع.

وفي رأي أفلاطون، انه لن تتوفر السعادة الكاملة للعالم، إلا إذا حكَمَهُ الفلاسفة الحكماء، الذين توصَّلوا إلى معرفة الحقائق، وانكشف لهم كل شيء، وأصبحت الاشياء كلها واضحة وبارزة لهم، كوضوحها لله تعالى.

آثار أفلاطون العقلانية:

ترك أفلاطون،مصنَّفات كثيرة، أغلبها محاورات مع تلاميذه تدور حول علومه التي أخذها عن سقراط، ومقالات عن الشرائع والجمهورية الفاضلة.

ومحتوى هذه العلوم،استقاها من فيثاعورس وهاركليتوس، فشذبها ونسّقها، ونفخ فيها من روحه المثالية، حتى جاءت كما هي عليه من السمّو والكمال الهادفين إلى نشر الفضيلة والتخلُّق بالاخلاق الفاضلة، التي تؤدي إلى وحدانية الله القادر والحكيم الذي تخرج منه كل الكمالات لأنها من موجوداته.

وقد تكلم أفلاطون عن التوحيد والتجريد، والتنزيه والحكمة وعن العدل.

وقال بحدوث العالم، وبقاء النفس، وأنها جوهر روحاني، ودعا إلى تحقير الملذات الجسدية، وتطهير النفس من الخطايا.

ولقد أودع في كتابه الخالد «الجمهورية» كل نظرياته الإلهية والأخلاقية والاجتماعية، وقال إن مصدر المعرفة هي النفس، وليست الحواس.

وقال إن النفس هي ينبوع الحقائق الثابتة والأكيدة، وهذه الحقائق تعرفها النفس قبل اتحادها بالجسد، ولكنها نسيتها، بعد هذا الإتحاد، وأن الكلّيات من المستحيل معرفتها بواسطة الحواس، لأن الحواس لا ترى إلا الجزئيات، فالعين ترى الإنسان، أما الإنسانية فالنفس تعرفها، لأنها كانت تراها قبل اتحادها مع الجسد.

أما باقي المعارف التي تصل اليها النفس بعد اتحادها بالجسد، فتحفظ في الذاكرة.

وأفلاطون هو أول حكيم يوناني وصلت كتبه كاملة إلى أيدينا.

وقد نسب إليه ستّه وثلاثون مصنَّفاً، قُسمت إلى تسعة أقسام سُميّت رابوعات لاحتواء كل قسم إلى أربعة مصنَّفات.

أفلاطون والحكمة العقلانية:

تُعتبر المحاورات الأفلاطونية، تجسيداً لما يتفاعل في أعماق هذا

الحكيم، من انفعالات عقلانية، تهدف إلى توعية النفوس الإنسانية، التي تهفو إلى المعرفة الحقّة، والإدراك الذي ينقلها من القّوة إلى الفعل، ويصوِّر المشاعر أدقّ تصوير، بالإضافة إلى الشرح الذي يجعل القاريء يفهم ويعي المسالك الخيّرة التي يجب أن يتبعها في حياته. وقد أدخل أفلاطون في اكثر محاواراته، فكر سقراط، عندما كان يجادل الحكماء والشعراء والسياسيون.

وكان لأفلاطون، أسلوب سلس، عميق يهدف إلى إظهار الحقيقة التي يبحث عنها، عن طريق الأدلة والبراهين الحقَّة ويبين ما وراء هذا العالم، على وجه الكمال والدقَّة، فهو يحكي عن أحوال النفس قبل اتصالها بالبدن، وبعد مفارقتها له.

المعرفة عند أفلاطون:

يقول أفلاطون، إن العلم والمعرفة، لا تكون بالظن والتخمين، لأن الظنّ قد يكون كاذباً، ولكن العلم قائم على البرهان.

وقد يكون بعض الظن صادقاً، ولكن بنفحة إلهية أو إلهام، لا بالإكتساب العقلي، والظن بالإجمال يدفع النفس إلى العلم. هذه العلوم تضع امام الفكر، صوراً كليّة وقوانين تتكررّ في الجزئيات.

ويستخدم الفكر، الصور المحسوسة كواسطة لتنبيه المعاني الكليّة المقابلة لها، والتي تكون موجودة في النفس، ثم يستغني عن هذه الصور الحسيّة، ويصل إلى المعاني الخالصة. وهذه العلوم لا تكفي بنفسها، ولكن يجب أن يكون هناك مباديء عليا يقينية، فالرياضيات، هي علوم ومعرفة وسطى، بين غموض الظن ووضوح العلم، وهي أرقى من الظن، لأنها كُليَّة وتستخدم في الفنون والصناعات والعلوم، وتعلُّمها ضروري لكل إنسان، وهي تمهّد للمعرفة والعلم، لأنها استدلالية.

والعلوم موجودة في العقل قبل الإدراك الحسّي، وهكذا يتدرَّج الفكر من

الإحساس المحض،مدفوعاً بقوَّة باطنية، لأنه في الحقيقة يطلب العلم الكامل، الذي تتوق النفس إليه.

نظرية المثل الأفلاطونية:

هذه العلوم تظهر بعد المعرفة والإستدلال ويحصل لنا العلم بعد أن كان صوراً في العقل. فالمحسوسات والأجسام مترتبة بعضها فوق بعض في أنواع وأجناس، كذلك المُثُل تبدأ من أعلى إلى أسفل، فمثال الخير والايجاد والفيض هو الأعلى، والجمال الجزئي يدل على وجود الجمال الكامل الدائم، والصانع الذي أوجد هذا العالم المنسجم والجميل هو واحد.

والعلم ذِكر، والجهل نسيان، والتجربة هي فرصة ملائمة لعودة المعنى الكلّي إلى الذهن.

وهذا العالم الأسفل الدنيوي، مثل كهف دخله أطفال مقيدون بسلاسل ثقيلة، بحيث لا يستطيعون نهوضاً ولا مشياً ولا التفاتًا، وأديرت وجوههم إلى داخل الكهف، فلا يستطيعون النظر إلاّ إلى جدار أمامهم مباشرة، ويرون على هذا الجدار، اشباح وأشياء تمر أمامهم، ولأنهم لا يرون إلا هذه الأشباح. فإنهم يتوهّمون أنها حقيقية فالكهف هو هذا العالم المحسوس.

والخلاص من هذه الأوهام والأشباح، يتم بالحوار والتفكير والتأمل.

والفيلسوف الحقيقي، هو الذي يميّز بين الأمور الخيالية وبين الحقائق، فيتجاوز هذا العالم المحسوس المتغيّر، إلى النموذج الأصلي الدائم، فيؤثر الحكمة والحقيقة على الظن، ويتعلّق بالخير والجمال الحقيقي.

الوجود عند أفلاطون:

ويعتبر أفلاطون أن حركة العالم بما فيه من موجودات علوية وسفلية، هي دائرية الحركة، ومرتبة ومنظمّة بشكل متقن لا عيب فيه.

وهذا النظام الكلّي آية فنيّة، غاية في الجمال، وهو بلا شك صنع عقل كامل، توخى الخير والعدل الكامل.

ويقول أن الله روح كامل عاقل، محرِّك جميل، خيّر، عادل، وهو بسيط، وثابت لا يتغير، وصادق، دائم، وهو حاضر ومستمر لا يخضع لزمان ولا مكان.

وهو ليس كما يقول السفسطائيون، بأنه عاجز عن ضبط الأشياء، محتجين بذلك، على نجاح الأشرار في العالم السفلي الذي هو الدنيا، وهذا محال، لان الإنسان الصانع يعلم الأجزاء الكلّيّة الذي صنعها فيعتني بها، فهل يكون الله أقل علماً من الإنسان؟ إن ساعة الأشرار آتية لا محالة، والله وتدبيره تشمل الجزئيات والكليَّات. فالطبيب يهتم بصحة البدنَ كلّه قبل الاجزاء، والفنان يسعى إلى أعظم كمال ممكن، فيضع الجزء لأجل الكلّ، وكذلك الصانع الاكبر. والإنسان يجهل أنه جزءمن كلّ، والنفس غير منظورة، بينما العناصر والأجسام جميعاً منظورة، وللعالم الروحي يوجد مراتب وفي ذروة مقاماته هو الله.

وجود الله وعنايته بالعالم، حقائق لا ريب فيها، وإنكارها يؤدي إلى فساد السيرة الشخصيّة لكل إنسان، وهو إخلال بالنظام الإجتماعي وهو جريمة ضد الدولة يجب أن يعاقب عليها القانون.

وقد ينكر المرء الله تماماً، وقد يؤمن به وينكر عنايته بالوجود، وقد يؤمن به وبغايته وينكر كماله وعدالته. ويتوهم أنه يستطيع شراء رضاه، ببعض الطقوس والقرابين دون نية صالحة. والبدعة الثالثة أشنع، وهي الأيمان بالله ونكران عنايته وتدبيره للعالم. وهذا الاعتقاد يدلّ على عدم معرفة الله.

أفلاطون والعالم:

شاء أفلاطون أن يبرهن، كيفية تكوين العالم فقال:

إن كل ما يحدث، فهو يحدث بالضرورة عن علّه وسبب وله صانع، وأن الصانع كلّه خير فقد اراد أن تحدث الأشياء شبيهة به على قدر الإمكان، فرأى أن العاقل أجمل من غير العاقل، وأن العقل لا يوجد إلا في النفس، فصوّر العالم كائناً حيّاً عاقلاً.

فالعالم واحد وصانعه واحد، ونموذجه واحد وأما النفس، فهي سابقة على الجسد، صنعها الله من الجوهر الإلهي البسيط، تنفعل بالسرور، والحزن، والخوف، والرجاء، والمحبة، والكراهية.

تستطيع أن تخالف قانون العقل، فتصير شريرة حمقاء، فتضطرب حركتها وتُنزل النكبات في العالم.

وأما الجسم العالم، فقد كان في الاصل مادةً رخوة، غامضة، لا تُدرك بذاتها بل بالاستدلال وكل ما نعقله عنها أنها قابلة للتغيُّر.

ونحن نرى، أن ما نسميه ماءً، إذا تكاثر صار مادة صلبة وحجارة، وإذا تخلخل صار هواء وريحاً.

وأن الهواء إذا اشتعل تحوَّل ناراً، وأن النار إذا تقلَّصت وانطفأت، عادت هواء. وأن الهواء إذا تكاثف صار سحاباً وضباباً وهكذا دواليك.

وهذه العناصر الاربعه هي: الماء والهواء والنار والتراب.

- والنار مؤلفة من ذرات هرمية تشبه سن السهم، وهي أسرع الأشياء وانفذها.
- والهواء مؤلف من ذرات ثمانيه.
- والماء مكون من ذرات مكعبه.

ضلَّت هذه العناصر مضطربة وهوجاء، حتى عيَّن الصانع لكل منها مكانه ورتب حركتها.

فجعل الكواكب والشمس والقمر، وجعل لكل منها نفس تحركه.

ثم صنع النفوس العاقلة الخالدة.

النفس عند أفلاطون:

يقول أفلاطون، أن الإنسان هو النفس، وأن الجسم هو آلة لهذه النفس. ومسألة خلود النفس أخذت الكثير من عناية أفلاطون، فأشار اليها في جميع كتبه، ويقول أن الأحياء يبعثون من الاموات، لان النفس لا تموت بموت الجسد.

كانت النفس قبل الولادة، وستبقى بعد الموت، لإن الجسم المركَّب يتحلل، ولكن الجوهر الروحي البسيط، فلا يجوز عليه التحول والانحلال، والنفس بسيطة ثابتة لا تقبل الموت.

الاخلاق عند أفلاطون:

يقول أفلاطون، أن الإنسان الحكيم والسعيد، هو من حقّق في نفسه الاعتدال، وضبط شهواته، وأما الشقي فهو من استسلم لميوله ونزواته.

والشهوة هي جزء من النفس، وهي تميل إلى الإسراف، إن لم تُقاوِم، مثلها مثل وعاء مثقوب تصب فيه الماء فلا يمتلىء، أو مثل الأجرب الذي يحك جلده بقوّة فيزيد ألمه وعذابه، أو كسبع جائع يمزق فريسته ويأكل ولا يشبع، أو كمسخ له عدة رؤوس، هذا المخلوق لا يمكن ان يحبه الناس، ولا يرضى عنه الله، ولا يمكن معاشرته، ولا يذوق طعم السعادة.

وإذا صار حاكماً، فإن دولته أشقى الدول، والسعادة لا تقوم بالشهوة القوية، ولا بالملذات المادية.

ولكن السعادة تقوم بالحياة الفاضلة، وهي تمتاز بقلة الانفعال، وضعف الشهوة إن الذين يطلبون السعادة بالرذيلة واللذات المادية، تنكِّل بهم الطبيعة شرَّ تنكيل.

الفضيلة عند أفلاطون:

يرى أفلاطون أن الفضائل ثلاث:

1 ـ الحكمة، وهي فضيلة العقل وتوصل إلى الحق.

2 ـ العفَّة، وهي تقاوم الشهوة، وتخفف الاهواء فتصير النفس هادئه والعقل حر.

3 ـ الشجاعة، وهي ترويض النفس لتجعلها قوية فلا تشعر بألم الحرمان.

وإذا حصلت هذه الفضائل للنفس، وخضعت جميعها للعقل تحققت لها العدالة، وهي اعطاء كل شيء حقُّه.

وينتج عن العدالة، الحب والإحسان التام الشامل للأصدقاء والأعداء، ويتحقق للنفس النظام والتناسب في الاعمال والأفعال فلا تقوم بالإساءة للغير لأن الإساءة للغير هي اساءة للنفس أولاً.

يقول سقراط: «إن خيّرت أن اكون ظالماً أو مظلوماً، فسأختار المظلوم، لأن الظلم خسارة وقبح، وإذا نزلت المصائب على الإنسان الفاضل وعُذِّب وصُلِبَ، فهو سعيد بعدالته، وأما الطاغية الذي ينكِّل بالناس، فهو شقي يستحق الرثاء، لأن الظلم هو أعظم الشرور».

وليست المسألة إن كان الظالم منتصراً ولكن إن كان سعيداً أم شقي.

وعلى الظالم أن يكفّر عن آثامه، والتكفير هو تحمُّل القصاص العادل، وكل ماهو عادل فهو جميل.

والقصاص هو خير ليستقيم به النظام، ولتخلص النفس من شرَّها الذي هو أعظم الشرور، والقصاص يجعل الظالم أحسن حالاً، لأنه يشعر بأنه شفي مو شرّه.

أما الذي يحتفظ بشرِّه فهو أشقى الناس، لأن الجسم المريض أهون على صاحبه من النفس المريضة.

وكما ان المريض يسعى إلى الطبيب ويتحمَّل الكي والجراحة، فعلى الخاطئ أن يسعى إلى القاضي بنفسه، ويعترف بخطيئته، ولا يكتمها في صدره، ليأخذ القصاص العادل.

الجدل الصاعد والأخلاق:

حاول أفلاطون تركيز دعائم الأخلاق والفضيلة وسلك درباً آخر من أجل ذلك، هو الترقيّ والصعود، والهدف هو الحياة المتصَّفة بالحكمة، والتخلُّص من الجهل الذي يمنع الحكمة.

لأننا إذا تأملنا النفس وجدنا فيها قوةً عظمى تحركها أبداً، وهي الحب.

والحب هو قلق دائم، وشوق إلى الخير ليملأ فراغ النفس.

ويتجه الحب أولاً إلى جمال الأجسام والأشكال وعند هذا الجمال، يقف الكثيرون، ظانين أنه الغاية، ولكن النفس الحكيمة، تدرك أن هذا الجمال زائف وزائل، فتتجاوز هذا الوهم ثم تسعى إلى جمال النفوس مهما كان الظاهر دميماً، فتتعلق بها، ثم ترقى إلى جمال الفنون ثم إلى جمال العلوم، ولا تزال تصعد من علم إلى علم حتى تبلغ الجمال كلّه، فتقف متأملة وتتهيأ لمشاهدة الجمال المطلق، غير الفاني. وفي مراحل البحث عن الحب الحقيقي، التي تقطعها النفس، يكون هدفها الوصول إلى ضالتها، وهي الفردوس المفقود الذي تحن اليه بكل جوارحها، فتزدري الجمال الزائل، الذي يملأ النفس جنوناً وتتعلق بالجمال الدائم.

أفلاطون ومدينته الفاضلة:

يُشيّد أفلاطون مدينته الفاضلة، على أساس متين من العدالة، فيقول: إن الفضيلة هؤ أساس عدالة الفرد والسياسة العادلة، هي أساس المدينة الفاضلة.

والمجتمع هو الذي يتألف من مجموعة أفراد عجز كل واحد منهم عن قضاء حاجاته وحده، وهو بحاجة إلى حكومة عادلة تنظم هذه الحاجات، وتعطي كل ذي حق حقه، وير أفلاطون ضرورة وجود هذه الحكومة الفاضلة، ويصف تفاصيلها.

أفلاطون ومعادلة النفس:

يقول أفلاطون مخاطباً نفسه:

يا نفس! استيقظي واحذري الغفلة والنسيان، وتخلَّصي من كدورات الطبيعة واستعيني على ذلك، بالخضوع والابتهال من ينبوع الخير، ومُبدع العقل والحكمة والرحمة، تحيي بذلك وتسعدي.

يا نفس! إن مبدع الأشياء ومنشئها، صنعك وأبدعك وصورَّك، فحافظي على هذه الصورة، واعلمي أن جميع ما في هذا العالم، إنما هو تمثيلات وتشكيلات وأوهام، لأن الحقيقة في العالم الروحاني، فشاهديه بالعقل، لتشعري باللذَّة الدائمة الأبدية.

واعلمي يا نفس! أن علم الجسم المركب زائل ومفارق، فخذي العلم البسيط قبل غيره.

يا نفس! هذا جرم الارض، هو أثقل الأشياء وذلك لرسوبه، تحت سائر المواد، ولذلك صار كثيفاً قاسياً.

ثم يتلو هذا الجرم، جرم الماء وهو ألطف من الأرض وأصفى وأشرف، ثم جرم الهواء الذي هو الطف من الماء، ثم جرم النار الذي هو الطف العناصر الأربعة وأشدها نوراً، ثم أجرام الفلك المنظمة والتي هي أقصى الأجرام كلها، وكلها متشكل بالشكل الدائري، وهو أتم الاشكال، دائرة دون دائرة، وينتهي إلى كرة الارض، وما يحيط بهذه الأجرام كلها، هو النور الإلهي الشريف وهو الطف الأنوار وأن سائر الأشياء دون هذه الأنوار لا

حياة لها، فبها تكون الأحياء، والخارج من هذه الأنوار الإلهية، هو ميِّت لا محالة. وأما جوهر النفس البشرية، والمحيط بها هو العقل النوراني، وهو الطف الموجودات وأشرفها وأعلاها منزلة، وهو مرتب تحت الأفق الأزلي تبارك وتعالى والآخذ منه بدون وسيط.

أفلاطون والإنسان المخادع لنفسه في الطبع:

يتحدث أفلاطون عن غرور الإنسان وخداعه لنفسه، فيقول: أنها من أفعال العقول الناقصة. فيقول:

يا نفس! لا تذمي الدنيا وتقولي، هي دار خديعة وغرور، فهي ليست كذلك إلا عند ذوي العقول الناقصة والجهال وأهل النسيان، ولو كانت دار خداع وغرور، لكانت كذبت على الناس وأظهرت أجمل ما عندها، ولكننا نرى الإنسان فيها، يوم محزون ويوم مسرور ويوم متلذّذ، ويوم متألم ومتوجِّع، وهي تظهر لنا كل ما عندها، ولا تخدع أحداً، ولا تجدي أيتها النفس أحداً في هذه الدنيا نال فرصةً طيبة إلا أعقب ذلك غصَّةً وألماً. فليست الدنيا مخادعة دائماً، ولكن نفس الإنسان هي الخادعة لأنها ناقصة، ولأن العقل الضعيف، يغتر ببعض نعيمها، ويعتقد أنه دائم، فمتى خدعت الدنيا وهذه حالها.

يا نفس! لا تكن أخلاقك في هذه الدنيا كأخلاق الطفل الذي لا عقل له، إن أطعمناه ورفقنا به رضي وضحك، وإن شددنا عليه بكى وغضب فهو ضاحكٌ ثم باكٍ، وراضٍ ثم ساخط.

يا نفس! إن هذه الدنيا رُكبت من خير وشر، ونعيم وبؤس وشدَّة ورخاء وينبغى أن لا تبقى النفوس غافلة فعليها ان تنتبه وتستيقظ وتلجأ إلى العلم الثابت، الذي هو الحكمة والمعرفة بحقائق الأشياء، وأن هذه النفوس سكنت هذه الدنيا لتتعلم وتتكامل، فإذا تشاغلت بالنعم والملذات ضيعت مطلبها ونسيت هدفها، الذي من أجله خُلقت.

وإنما شرحت لك يا نفس، هذا الشرح لئلا تكوني في رتبة الذامين للدنيا عند سخطهم عليها، والمادحين لها عند رضاهم عنها.

وهم بالحقيقة، لا ذامين ولا مادحين، بل هم تائهين ضالين، قد أضاعوا طلبهم ونسوا هدفهم واستعملوا آلة أجسامهم بغير علم يقينى.

يا نفس! إن هذه الدنيا دار علم وبحث واختبار للمتألمين، فتأملي يا نفس، جميع معانيها وصورها، المصنوعة من مواد محسوسة زائلة وبائدة، واعلمي انما هذه الصور هي وهمٌ وضلالٌ، ولكنها تشبه قليلاً، الحياة الحقيقية الدائمة والأبدية.

فما دمت يا نفس في عالم الطبيعة، فلا تطلبي لذّة، وليكف كل جهدك، بالبحث والإستكشاف واكتساب العلم، وإذا تشوقت إلى اللذات والسرور الدائم، فانزعي لباسك الكدر، والبسي حلتك النظيفة، ثم سيري في عالم اللذات الحقيقي وتصَّوري بصورك الجوهرية الدائمة الباقية، فتبدأ سعادتك وأنت ما زلت في عالم الكون والفساد.

تيقَّني يا نفس! كل ما شرحته لك واعقليه، واعلمي أن مهلكات النفس ثلاثة أمور:

أولها: الشرك وسائر أنواعه.

والملذات: وسائر أنواعها.

والظلم: وسائر أنواعه.

ويجمع هذه الانواع كلها أصل واحد، وهو حب الدنيا، فتحَّرزي يا نفس من الدنيا، واعرضي عنها، وانظري إليها بعين الخائف الوَجِل منها، وكوني منها كالطائر الذي عرف الفخَّ المنصوب له، فا نحرف عنه وحِذره. واعلمي يا نفس! ان تحرزك وهربك من الشرك يذهب بك إلى مرتبة التوحيد.

وأن تحرُّزك من الظلم، يذهب بك إلى مرتبة النور والصفاء.

وأن تحرُّزك من الملّذات، يُريحك من الخوف والحزن والجهل والفقر.

فتيقني يا نفس! حقيقة هذه المعاني، واعلمي أنها تنجيك من الهلاك.

يا نفس! تأملي حكمة المبدع الخالق، واعلمي أن الإنسان، لم يخلق لهذه الأمور التافهة من ملذات عابرة، ولكن خُلق للعلم والعمل به. أنظري أيتها النفس إلى الثمرة التي خلقت للأكل، كعنقود العنب مثلاً: فهو يبدأ لا يصلح لشيء، ثم ينمو ويسير إلى الحموضه، فيصلح أكله قليلاً، ولكن عندما يكتمل نموه يصبح لذيذ الطعم.

فكذلك الإنسان، يبدأ في هذا العالم المحسوس لا يصلح لشيء من المعاني التي خلق من أجلها. ثم يبدأ بالتعلُّم، وإذا روّض نفسه ليصل إلى رتبة أعلى وحصل على المادة الكبرى المكمِّلة فتجعله عالماً متكاملاً .

يا نفس! إن المبدع الخالق جلَّ اسمه ينطق بكلام إلى المستمعين إليه وليس كلُّهم يريد الاستماع والفهم، بل منهم من يحتاج إلى ترجمان ووسيط، يتوسط بين الناطق والسامع، وذلك لضعف التصور عند السامع وعدم فهم القول.

فلا تكوني يا نفس من الجوهر الذي يحتاج إلى وسيط، فإن المترجم قد يخون في تعبير الكلام، وقد يُحرِّف القول ويغيره.

أفلاطون وانعدام اتفاق الاعراض الحالة في الجوهر:

يقول أفلاطون في الفصل الثالث:

يا نفس! إن الأعراض الحالة في الجسم، الذي هو الجوهر الكثيف، مخلتفة ومتكاثرة، وانت وحيدة، وهي خادعة وانت ناصحة. وموجود حق، وهي زائلة، وانت خيرٌ دائم وهي زخارف فانية.

إعرضي يا نفس عنها واحذري استعبادها إياك وخذلانها بك، فلا تخرجي يا نفس عن ذاتك الوحيدة الحقَّة الشريفة.

يا نفسّ! حتى متى أنت فقيرة هاربة، من الحر إلى البرد، وتارة من البرد إلى الحرّ، وتارة من الجوع إلى الشبع، واخرى من الشبع إلى الجوع.

إن اسرفت بالحلاوة افتقرت إلى الملوحة وإذا كنت فقيرة من المقتنيات ووصلت إليها، أصابك الخوف عليها مادامت معك، وإن فارقتك زال عنك الخوف، ولكن حلّ مكانه الحزن والغمّ.

إنزعي يا نفس هذه الحالة التي أنت عليها، فهي كلها أمراض وآلام، لا تأسي لمفارقة الأحزان والهموم والخوف والفقر، فهذه كلها علامات الجهل والضلال، ومن استسلم لها فقد هلك.

يا نفس! تيقني أنك خلقت من أصل أنت فرعه، وإن ابتعدت، فما يزال بينك وبينه صلة ورباطاً، وهذه الوصلة والرابطة تستمد الحياة من الأصل. ولو انعدمت هذه الرابطة والصلة، لصارت كغصن الشجرة اليابس، ولأوجب قطعها، واعلمي أنك راجعة إلى مبدئك الذي هو أصلك، فتهذبي من اوساخ الطبيعة واوزارها، التي تعرقل سيرك إلى عالمك وأصلك.

يا نفس! هذا عالم الطبيعة، هو محل الفقر والخوف والذل والحزن، واما عالم العقل فهو محل الغنى والأمن والعز والسرور، واعلمي انه من المستحيل أن يكون الإنسان غنياً وفقيراً، خائفاً وآمناً، عزيزاً وذليلاً في نفس الوقت، وكذلك من المستحيل ان يجمع حب الدنيا، وحب الآخرة، فهذا من باب الممتنع أشد الإمتناع.

يا نفس! إنه من نزع سلاحه واستسلم

لعدوّه وجب أسره، ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوّه وجب قتله وكل نفس جاءت إلى هذا العالم الدنيوي لا بد لها إما القتل، وإما الأسر.

فمن اختار الأسر، فقد اختار طول العذاب ومن اختار القتل، فقد مات عزيزاً، وكان موته راحة ابدية من ذلّ الأسر والعبودية.

يا نفس! إذا اردت عدم الاستسلام، اقصدي الأصل، واغرسي بذر الزهد في الدنيا وربّيه واسقيه بكل اخلاص وصدق بدون تمويه ونفاق.

يا نفس! لا تكوني جبانة وخائفة، ولا ترددي فتهرب منك الشجاعة وتصبحي خائبة خاسرة، فإن لك راحة كبيرة، وفائدة عظيمة.

يا نفس! ابتدئي بالقيام بجزئيات الخير ولا تقتربي من الأمور الخسيسة الدنيئة فتكتسبي طبعاً مخالفاً لطبعك، ويمنعك ذلك من الرجوع إلى وطنك الأصلي، واعلمي أن الأفعال الشريفة فهي من جنس بارئها.

العالم الطبيعي صفو وكدر فما على النفس إلا أن تتجرع كدره قبل صفوه:

يا نفس! تطالبين بالإستقرار وانت في عالم الطبيعة، وأي استقرار يوجد في عالم الكون، في هذا العالم صفو وكدر، فتجرعي كدره قبل صفوه، واعلمي أن شرب الصفو بعد الكدر خير من شرب الكدر بعد الصفو.

فلا تغتري يا نفس بأن عالم الطبيعة فيه صفو، وإذا وُجد فهو ليس بحقيقة، بل هو كدر كله، وانما ضربت لك مثلاً. فإن أردت الشيء الصافي الهنيء فاطلبيه في غير عالم الكون والطبيعة.

وإن طلبتيه من معدنه وجدتيه، وإن لم تستطيعي فقد اقترنت بك الأحزان والهموم.

يا نفس! ليس الزُّهد أن تتركي اللذات واصلاح المقام والحال، وإنما الزهد هو التحوُّل عنها والشوق إلى مفارقتها.

فعليك ان تشتاقي إلى الموت والرضا به، فالخوف من الموت تكون الهلكة وبالتشوق إليه تكون السلامة. أليس تعلمين يا نفس، ان بالموت

الطبيعي تنتقلين من الضيق إلى السعة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الحزن إلى السرور، ومن الخوف إلى الأمن، ومن التعب إلى الراحة، ومن الألم إلى اللذة ومن المرض إلى الصحة، ومن الظلمة إلى النور؟

فلا تأسي يا نفس، على ترك حلل الشر والشقاء وتلبسي حلل الخير والبقاء.

يا نفس! تطالبين بالإخوان والأصحاب في عالم الطبيعة، وقد علمت أن ذلك من جنس الممتنع، وإنما يوجد ذلك في عالم الروحانيين لصفاء ذواتهم، فإذا أحببت ذلك، فصيري إلى هناك لتظفري بكل ما تطلبين، ولا تأملي بهذا العالم، لان أهله أسرى ومماليك.

يا نفس! اعلمي وتيقني أن أربعة أشياء تسبب هلاكك لا محالة وهي: الجهل والحزن والفقر والخوف

فاعلمي أن من بحث عن العلم وعدم الجهل ومن تخلى عن كثرة المقتنيات عدم الحزن ومن عفَّ عن حب الشهوات عدم الفقر. ومن تشوّق إلى الموت رضيَ به وعدم الخوف.

يا نفس! الجاهل لا يعلم حقيقة الأشياء والساعي لامتلاك الأشياء الخارجة عن حاجته، حزين طول دهره، ومن أراد الشهوات فهو فقير أبداً.

والخائف من الموت، لا أمان له، فهل هناك أشقى من نفس جاهلة حزينة فقيرة خائفة؟

يا نفس! لو أنك سعيت إلى مرتبة الصبر، والابتعاد والافراط لحب الأمور المادية، لذهب عنك الخوف والفقر.

فلا تجمعي مع الحزن والأسر والغربة، الفقر والخوف فتهلكي.

يا نفس! إن الموت مع الصبر والثبات هو عزّ، والموت مع هزيمة النفس وفشلها هو ذلّ.

يا نفس! إلى متى أنت تطوفين في هذا العالم، ذاهبة راجعة؟

تتخذين الخلّان والأصحاب، وليس من خليل إلا وله جانب من الغدر والخذلان لكِ، وأنت تضمرين الوفاء والمساعدة، فإذا مرض تُشافيه، وإذا أذنب تُطهريه، وهو يقابلك دائماً بجوهره وطبعه، ثم يعقب ذلك بالقطيعة والفراق، من دون ذنب جنيته، ولا شرٍ صنعته.

فأنت في كل حين، متجرعة من الفراق غصصاً وفاقدة وفاء الأخلَّة، على غدرهم بك ووفائك لهم وظلمهم لكِ، وانصافك إياهم. فلا تتعظي من تجربتك معهم ولا تعتبرين، فحتى متي وإلى متى تصاحبين الأشرار الظالمين والخونة الغدارين، أهذا جهل منك وعمى عن طريق الصواب؟

أفلاطون ينصح نفسه بعدم مصاحبة الاشرار:

يوجّه أفلاطون إلى نفسه النُصح طالباً منها الإبتعاد عن قرناء السوء لأنهم كلهم سواء.

ويقول في الفصل السادس:

يا نفس! لو شرب المرء من الماء شربة واحدة، فهو سوف يعرف الماء كلَّه، ولو نظر إلى حفنةِ ترابٍ فقد رأى التراب كله، وإن إختلفت ألوانه، فهو لا يختلف في الجوهر وان المصاحب للأشخاص الذين هم من طبيعة واحدة، وجوهر واحد، فإن الواحد منهم يخبر عن الجميع.

فكل شكل إلى شكله يحنّ، وكل نوعٍ إلى نوعه يُضاف.

يا نفس! انت صافية فلا تعجبي بالكدر وانت مضيئة فلا تعجبي بالظلام، وانت حيَّة ناطقة فلا تعجبي بالأموات، وانت طاهرة نقية، فلا تعجبي بالمدنسّين، وثقي يا نفس فيما ذكرته لك، تكوني من الفائزين.

يا نفس! كيف يشتغل الغريق في صيد السمك، وكذلك ساكن الدنيا، كيف يسعى لخلاص نفسه وهو غارق في بحرها.

يا نفس! إن طريق النجاة، يكون بحسب ما تعرفي وتختبرين، فإن كانت معرفتك بالمعقولات وآثرتها على غيرها، فنحوها تتجهين، وإن كانت معرفتك بالمحسوسات فقط نحوها تتجهين وإليها تُنقلين.

يا نفس! هذه دار المحسوسات ودار المعقولات حاضرة بين يديك، وكلاهما قد خبرتيه وشاهدتيه فاختاري أيهما شئت، فإن اخترت البقاء في دار الحسّ فاقيمي بما عرفتيه، وإن أحببت دار العقل، فينبغي لك تغيير اتجاهك إلى دار البقاء، فتنتقلي من مرتبة إلى مرتبة حتى تنتهي إلى المستقر الأبدي. وإذا كنت مازلت تتذكري الطريق إليه فاحذري أن يحول بينك وبينه النسيان والخوف فتضيعّي وتتوهمي.

وإن كنت يا نفس ناسية لهذا الطريق فاستعيني بسالكيه فإنهم أئمة الهدى والأدلاّء على مسلك الأعلى للوصول.

واعلمي يا نفس أن كل من يسير لينتقل إلى العلاء عليه أن يكون خفيفاً صافياً نقياً ليكون أسرع في سيره إلى غايته.

وإن كان ذاهباً نحو الأسفل يكون ثقيلاً كدِراً، وعلى حسب كدره وثقله تكون سرعة ممِّره.

يا نفس! إن الأصناف الشريفة تأتي إلى دار الطبيعة لتُختبر، فإذا استعملت المحسوسات فقط نسيت عالمها، فلا تعود تتذكره، وتموت مع جريان الطبيعة.

وإذا عادت وتذكرت فهي تحيا بعد مماتها حينئذ تتذكر، ثم تبحث عن كل المعاني التي نسيتها، وكلما عقلت شيئاً مما نسيته تجلىّ بصرها وقويت صحتها وفارقت مرضها عند ذلك تدرك ببصر عقلها، أن جميع ماشاهدته في عالم الحس، إنما هو خيالات أشياء غير حقيقية، فترجع إلى تأمُّل المعاني الحقيقية والحياة الدائمة السرمدية.

يا نفس! تأملي وقولي واعلمي، أن العقل للنفس كالأب، والطبيعة كالزوجة، والنفس تميل تارة إلى الاب بالنسب وتارة تميل نحو الطبيعة.

ولكن يا نفس لا بد لك من ابيك، لانك موصولة إليه بالنَّسَّب ولا يمكن أن ينقطع الوصال.

أفلاطون يقود نفسه إلى النجاة:

في الفصل السابع ، يستمر أفلاطون في تقديم النصائح لنفسه، محاولاً ارشادها إلى الطريق المستقيم، حيث المنفعة، والنجاة والابتعاد عن الأماكن الوعرة والمهالك فيقول:

يا نفس! حتى متى والى متى اسوقك إلى النجاة فلا تنساقين، وانت تسوقيني إلى دار الهلاك والمضرَّة لي ولك، فلا انساق معك؟!

فإذا وجب الخلاف بينى وبينك، فليس هناك، إلا الفراق، ويمضي كل واحد منا حيث يهوي ويريد.

يا نفس! ما أنت منصفة ولا عادلة ولا عاقلة، أبوك مقبل عليك يعاتبك ويؤدبك وأنت معرضه عنه ومقبلة على هذه الدنيا وخداعها، والتي لا تثمر إلا الأحزان والهموم والمخافة والفقر.

يا نفس! إن المواعظ والتنبيه تصقل النفوس من الصدأ، وإن إزالة الصدأ الخفيف يزول بالمواعظ.

أما اذا تراكم واتحَّد مع النفس، فلا يزول إلا بالنار ولا يجلو هذا الصدأ إلا بدخولها في النار لترجع إلى نقائها.

يا نفس! كم من خليل يؤذيك ويحسدك ويُفقرك ويُحزنك ويعميك ويغشك وتتجهين بالبصر إليه، وتحاولين إرشاده فيطغى عليك.

وما ذا تنفعك المقتنيات الزائلة البائدة التي لا حقيقة لها، والأماني الكاذبة التي لا وجود لها.

فانت بائسة أبداً ومحتاجة فقيرة خائفة حزينة ذليلة مسكينة،

وهذا الذي تتوهمين أنه خليلك، هو مسوغ بالذهاب عنك، ويذيقك غصص الفراق والضلال، وهذا يجري عليك بضلالتك ونقصك وعماك وجهلك، وكم هو الفرق بين هذا الخليل، وبين خليل غيره تصحبينه.

إن افتقرت أغناكِ، وإن ضللتِ هداك، وإن جهلت علَّمك، وإن عميت بصَّركِ لا يريد منك مؤنة ولا كلفة، ولا اهتمام ولا خدمة، وهو معك أبداً، ولا تخافين انقطاعه عنك ولا فقداً ولا فراقاً، وكلما دمت معه اكتسبت شرفاً ومن نوره نوراً ، ومن علمه علماً وبصيرة، ومن غناه

عزاً، يعطيك مقتنيات دائمة أبدية ويصلك بصلاتٍ حقيقية، فأنت معه رابحةً غير خاسرة، فاقتربي به، وبه اتحدي.

أفلاطون يستبدل الصاحب السيء بآخر خير:

يا نفس! قبل ان تتركي عالم الكون والفساد، تواصلي مع عالم العقل، وقبل ان تفارقي قرينك الغادر الدنيء الفاني تخلي عنه رويداً رويداً، وتواصلي مع خليلك الآتي.

يا نفس! ما من احد يسكن في موضع إلا وينتهي أن ينتقل إلى أشرف وأوسع وأبهى، فما بالك يا نفس تؤثرين السكن في الأماكن المظلمة الخربة الموحشة وتتركين المساكن النيّرة المضيئة المؤنسة فالى متى تكونين من عُمّار البيوت الخربة، ومنازلك الأولى الحقيقية معطَّلة منك خاوية.

يا نفس! تيقَّني مما أقوله لك وتدبريه، وإن أردت التحقق، فتوجهي إلى غير ما تدركينه بحواسك الخمس.

وإذا أصرّيت على النظر والسمع والذوق والشم واللمس، فأنت إذا سائرة في طريق العطبِ والعذاب والهلاك.

يا نفس! إن كلمة "التقوى" ينبغي أن تعقليها وتنيقين معناها، فالتقوى هى الإتقاء من الأشياء الضارة لك، واتقاء المضرَّة يكون بمخالفة الهوى، وعليك ان لا تؤثري الحيرة والشك والضلال.

يا نفس! إحذري الخطأ في سياستك لأن ثمرة الخطأ هو العذاب، والخطأ والزلل لا يثمران إلا خطأً وزللاً وسوء العاقبة، وإن ثمرة الهداية هو النعيم بعينه.

بالعلم الحقيقي تكون السعادة وبالجهل تكون الظلمة: (ص 159)

يتابع أفلاطون تقديم النصائح والارشادات لنفسه فيشرح لها، ان بالعلم الحقيقي والاتصال بالخالق تكون السعادة.

أما إذا جهِلت النفس هذه الأمور وتنكَّرت لها بكثرة الأوهام، فتقترن بألوان العذاب والآلام.

فيا نفس! لتكن أهدافك كلها العلوم والمعارف الحقيقية، فإذا حصلت عليها، أصبحت تميزّين الحق من الباطل، واصبح بصرك حاداً ونورك مضيئاً، وتنسين الجهل والعمى والخطأ.

يا نفس! إذا أردت أن تعرفي حال النفس بعد مفارقتها الجسد، فانظري إلى حالها وهي ملازمة له، فإذا كانت مهتدية وصائبة فستكون العاقبة السعادة والهناء وإذا كانت خاطئة، فيكون مصيرها الشقاء والخسران.

النفس ترغب في النعيم والسرور وتزهد فيهما وتنحرف عنهما:

في الفصل العاشر من كتابه «معاذلة النفس»

يقول: يا نفس! إني أتأمل حالك فيطول عجبي! إنك تظهرين بالقول انك

زاهدة في الشقاء والأحزان، ولكنك راغبة فيها وملازمة لها، وتظهرين أنك راغبة في النعيم والسرور، ولكنك منحرفة عنهما، ومستوحشة من الطريق اليهما.

وهذا يا نفس! فعل مختلف ومتناقض، ولا يظهر من مؤمن موحِّد، بل فيه شرك وشك وتركيب، لأن الموحِّد فعله واحد لا اختلاف فيه، وقد تبيَّن الآن يا نفس، أنك لم تتخلصي من غشك، ولم تتهذبي، ولم تجلي الصدأ المتراكم، فبادري بالجلاء والصقال، قبل ان يستحكم في ذاتك، وإن كان هذا الصدأ مستحكماً، فعودي إلى النار وانسكبي فيها لتخرجي منها صافيةً نقية.

يا نفس! تيقَّني أولاً، أن الموت ليس هو إلا غيبة الجسد عن النفس، فإذا تيقَّنت من ذلك، وإذا تقرر هذا في علمكِ فستعرفي أن الإنسان الحكيم العالم هو عالم عند حضوره، وهو حكيم عالم عند غيابه، لأن حكمته وعلمه ينتقلان معه أينما ذهب وأينما سلك.

لأن شجرة الخير، لا تثمر إلا خيراً.

وشجرة الشر لا تثمر إلا شراً.

كيف سهت النفس عن ذاتها، وانهمكت بالرذيلة والشهوة:

يلاحظ أفلاطون أن النفس عندما هبطت من العالم العلوي، تعلَّقت بالأمور الشهوانية، والموجودة في عالم الكون والفساد، وابتعدت عن معانيها الذاتية الخيرة، الطامحة إلى الكمال.

فقال مرشداً نفسه:

يا نفس! لقد جئت إلى عالم الطبيعة واختبرتيه، فهل رأيت شيئاً، غير الأمور الموحشة والمضجرة والروائح الكريهة، والملموسات النجسة الدنسة،

فلما اغتبطت بها، وأعجبت بها، وعشقتيها، ونسيت معانيك الذاتية الشريفة، وعندما عرفت خطأك وزللك، أحلت الذنب على غيرك.

هيهات! هيهات! يا نفس، ليس الذنب إلا من جناه، وليس الخطأ إلا من ارتكبه، فتلافي يانفس خطأك وزللك، واعلمي أن ما وقعت فيه، هو من هواك وشهوتك.

يا نفس! كل مكروه أصابك هو فيك، فاذا وردت المصائب عليكِ ولم تعرفي السبب وأصله، فلا تحيليه على غيرك، واعلمي ان سببه وأصله، خطأك القديم الذي نسيتيه، لأن من دخل دار المصائب، واصابته مصيبه هي من نفسه وخطأه، وقد حُذر منها فلم يحذر، وخوِّف منها فلم يخف، ونُصح فلم يقبل واتبع هواه وشهواته.

يا نفس عندما كنت خارج السجن، وكنت تسمعين الاخبار وتبصرين الأشياء، ولماّ دخلت إلى السجن خفي ذلك كله عنك، وصرت مسجونة أسيرة تتشوقين إلى خبر تسمعيه وتتشوقين إلى علم تدركينه وتبصرينه؟ فما الذي حملك على دخول السجن؟ أليس هذا كله بخطأك؟!

النفس يلزمها الصبر حتى تصل إلى الظفر والفوز:

في الفصل الثاني عشر يقول أفلاطون:

من غرس شجرة الصبر اثمرت وأعطت أكلها.

ويقول مخاطباً نفسه:

يا نفس: إن مرارة الصبر والثبات تثمر الحلاوة ولا تنال الأشياء كلها إلا بالصبر.

يا نفس! اثبتي بالصبر على عبادة الله الواحد، واحذري أن يجرك الملل والضجر، فتخرجي عن الوحدانية، فتكثر آلهتك، ومن كثرت آلهته، كثرت متاعبه وخدمته واشتد تعبه ونصَبُه، وازدادت همومه وهلك.

يا نفس! إن الضجر والملل مقرونان بالنفوس البهيمية والصبر والثبات مقرونان بالنفس الإنسانية، فلا يخرجك الضجر والملل عن حد الصبر.

يا نفس! عليك ان تعرفي ان كل ما تطلبينه هو موجود في ذاتك، فلا تطلبي شيئاً من خارج ذاتك فارجعي إليها واطلبي معلوماتك منها، ولا تدعي الأهواء والاوهام تتلاعب فيك فترجعي إلى كدرك وشقائك.

اللذة الحقيقية هي التي لا يُملُّ منها:

يؤكد أفلاطون أن كل اللذات في الدنيا لها حد، وبعدها تصبح مملَّة، وكلن أهل الدنيا يبحثون عن لذات جديدة وهي ليست موجودة، فيطلبون ما ليس موجوداً.

يا نفس! تأملي في نفوس الناس، فهل أحد راضٍ بمنزلته، بل الجميع ضجرٌ منها، وعندما تعلمي هذه الحقيقة، فليس لك إلا اليأس وعدم الطمع في هذه الدنيا.

يا نفس! كيف توجد لذّة، وكل ما تريده النفس يحتاج إلى صبر، والصبر مر المذاق، وكل شيْ حلو، مخلوط بالمرارة، فهو مرّ.

وعندما تنفر النفس من الصبر، تذوق هذا وتتركه وترغب في غيره ثم ترفضه، وهذا فعل خسيس وخلق دنيء، وعلى النفس أن تتأدب بالصبر.

فالإنسان إما ان يكون تائهاً ذواقاً فيحصل على مرتبة الدناءة والحساسة، وإما ان يرضى بمرتبةٍ صالحة من مراتب الدنيا، مع الصبر عليها وعلى مرارتها، فيكتسب الشرف والعز.

يا نفس! إن للعقل هدفاً، وهو أن يرتِّب الأشياء وينظمها بشكل صحيح وثابت، كالصانع الذي يستعمل الآلة، ولا تكون الآلة هي التي تستعمله، والفارس الذي يرِّوض الفرس ويسيرها، فلا تقوده الفرس إلى حيث تشاء، وكالحاكم العادل الذي يسوس الرعية بالعدل والحكمة فلا هي تسوسه.

عند ذلك يظهر الحق والعدل الجميلان. وإذا سارت الأمور بعكس ذلك، عمَّ الظلم والجور والشر وهلك الجميع.

أحلام الدنيا ليست بشيء حق:

يختتم أفلاطون في الفصل الرابع عشر: فيقول: إن أحلام الدنيا ليست حقيقية، ولكن الحقيقة في عالم العقل.

وقد شرحت لك يا نفس، هذه المعاني فلا تفرحي بما تشاهدينه في هذا العالم، فتكوني كالذي نام فرأى في منامه أشياء حسنه مبهجة أنيسة فركن إليها، فلما استيقظ حزن وجزع على مفارقتها، فعاد إلى النوم ليراهما من جديد، وهذا بسبب ضعف عقله وقلة علمه.

يا نفس! إن أعطتك الدنيا شيئاً، فلا تأخذيه منها، فإنها تضحكك قليلاً وتبكيك طويلاً، وهذا ليس تكلفاً منها وقصداً، إنماهو طبعُها.

أما إذا كانت النفس عاقلة تُميِّز لا تنخدع فتنجو من سوء العاقبة.

يا نفس! هذه الوصايا تدبَّري فيها، لتفوزي بدارالسعادة والبقاء ومحل النور والصفاء، مع السادة الأخيار من الأنبياء والأبرار.

هذا هو أفلاطون الحكيم الذي فعَلَ فِعلَ السحر بما قدمه من آراء وأفكار عقلانية وفلسفية، وكانت أفكاره العرفانية مرتكزاً للفلسفة الإسلامية الشاملة.

أرسطو

(مختصر)

الدكتور
مصطفى غالب

إعداد
حياة شمس الدين

مقدمة

بعد أن استطاع الشعب اليوناني أن يحقق الانتصارات الرائعةو وهزم الغزاة من الفرس والفينيقيين الذين هاجموا اليونان، بقيادة الملك الفارسي «داريوس الكبير» عام 479ق.م. اندلعت الحروب بين المدن اليونانية نفسها، وكان قد تأثّر الشباب اليوناني بالتقدم العلمي والنبوغ الفكري عند الفرس إبان الإحتلال، وكانوا متعطشين للمعرفة ولم يكن عند اليونانيين علماء وفلاسفة بالمعنى الصحيح، لتوجيه الناس وإصلاح المجتمع، بل كان هناك بعض المتكسِّبين من العلم الذين لا يميزون بين الحق والباطل، وقد لقَّبوا أنفسهم بمعلمي الحكمة. في هذه البيئة المتعطشة للعلوم العرفانية، ظهر سقراط، الذي كان عاشقاً للحكمة والمعرفة.

ضحى سقراط بجميع مصالحه، ووهب حياته ونفسه لها، وسرعان ما أصبح من أهم الفلاسفة المتعمقين بالحكمة والعرفان، وقد التفَّ حوله الشباب والمثقفين من كل حدب وصوب.

أهمل سقراط شؤونه الخاصة، ولم يفكّر بزوجته وأولاده، وكان نادراً ما يكون في بيته. من مدرسة سقراط، انطلقت الأفكار النيّرة تؤسس لكل مدارس الحكمة والعرفان، وقد ضمَّت مدرسته جميع فئات المجتمع، وكان لا يفرِّق بين سيّد وعبد، بل الجميع بنظره أحرار. وبعد أن قام سقراط بدورة، وكان قد تتلمذ على يديه أفلاطون ثم بعد أفلاطون «أرسطوطاليس» الذي نهج المنهج ذاته في الكثير من الأمور الفلسفية والعرفانية.

كان لأرسطو أسلوب مميز عن أسلوب أفلاطون وقد وقع نفور غريب بين أرسطو وأفلاطون، ومن الواضح أن «أرسطو» فيلسوف عظيم، وهو من عمِل على جعل علم المنطق، مرتّباً منظّماً، مبنياً على العلل المادية في العالم الطبيعي، كان أسلوب أرسطو يعتمد على المنطق، ولكن أفلاطون كان أسلوبه عرفاني.

يرى أرسطو أن الصلة بين الآراء المتعددة والنتائج والأدلّة التي تصل إليها، هي كالصلة بين معرفة الأشكال المادية وتعددها التي تشكل نموذجاً معيناً.

ويرى أرسطو أن إيمان الناس بالآلهة، يرجع إلى التأثير العظيم، لرؤية جمال العالم وعظمته وقوانينه المحكمة.

وقد اعتقد البشر دائماً وفي كل عصر وفي كل أمة، بقوّةٍ عظيمة ومقتدرة قاهرة فوقهم، وهذا هو الدليل الوجداني على وجود الله.

حياة أرسطو

ولد أرسطوطاليس في «تراقيا» في اليونان، كان أبوه طبيباً فيتاغوري المذهب، خدم في حاشية الملك المقدوني «فيليب» أبي الإسكندر، توفي وما يزال ولده أرسطو حدثاً صغيراً، فلم يأخذ عنه الطب، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره توجّه إلى أثينا ليستكمل علومه، فدخل إلى الأكاديمية التي أسسها أفلاطون، ولم يلبث طويلاً حتى امتاز بين أقرانه، فسمّاه أفلاطون «العقل» لذكائه الخارق، و«القَرَّاء» لاطلاعه الواسع، ثم عيَّنه أفلاطون معلِّماً للخطابة وبقي في الأكاديمية مدة عشرين سنة أي حتى توفي أفلاطون، مما يدل على ان أرسطو واكب أفلاطون عشرون عاماً وكان يقول:

«أحب أفلاطون وأحب الحق، ولكني أفضل الحق على أفلاطون».

بعدها غادر أثينا، إلى آسيا الصغرى، وقد استدعاه الملك فيليب المقدوني وكلَّفه بتعليم ولده الإسكندر، الذي كان في الثالثة عشر من عمره.

تعلّم الإسكندر من أرسطو العلوم العرفانية، وبعدها أصبح الإسكندر قائداً عسكريّاً، وانقطعت الصلة بينه وبين أرسطو.

في العشرين من عمر الإسكندر، نودي به ملكاً، بعد أن قُتِل أباه الملك فيليب غيلةً. ولما عاد أرسطو إلى أثينا أنشأ مدرسة «اللوقيوم» وسميت هذه المدرسة المشائية وظلَّ أرسطو في هذه المدرسة على صلة بتلاميذه يفيدهم بتعاليمه إلى ما قبل وفاته بفترة قصيرة.

وبعد وفاة الإسكندر حكم مقدونيا الحزب الوطني، وأصبحت مدرسة أرسطو «اللوقيوم» موضع اشتباه من أنصار هذا الحزب، ثم وجهوا إلى أرسطو نفس التهم التي وُجّهت إلى سقراط، فآثر الرحيل عن مقدونيا والعودة إلى بلده أثينا حزيناً، حتى لا يعطي أعداءه فرصة الإجرام في حق الفلسفة مرَّة أخرى وبعد ذلك أصاب أرسطو مرض مُعدٍ، وقد وافاه الأجل سنة 322ق.م.

الفارابي

(مختصر)

الدكتور
مصطفى غالب

إعداد
حياة شمس الدين

مقدمة

عاش الفارابي في عصر مليء بالصراع والتقاتل والتعصب والتطرف الفكري والمذهبي وطغيان موجة الإلحاد والكفر، وكان يسيطر على الدولة الإسلامية في ذلك العصر، القلق والخوف والفوضى، نتيجة عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية، وفساد الحكم، وقد اندلعت بعض الحركات الثورية في مختلف أجزاء الخلافة العباسية، لكن هذه العوامل لم تقف حائلاً دون ظهور عبقرية الفارابي، الذي بنى نظرياته الاجتماعية والسياسية، على ما كان يحصل أمام ناظريه، من مشاهد الفحش والفساد لأن المجتمعات كانت منغمسة ببذخ وفساد الدولة العباسية.

كان المجتمع بحاجة إلى حكماء وإصلاحيين أمثال الفارابي وغيره لإيجاد قوانين وأنظمة تؤسس للعدالة والقيم الأخلاقية المثالية، فكان الفارابي في طليعة الفلاسفة المسلمين الذين عملوا على إظهار الحقائق الكامنة وراء الوجود والموجودات المادية، وقد استحق بصدق لقب «المعلم الثاني» بعد المعلم «أرسطو».

وضع الفارابي نظاماً اجتماعياً فلسفياً ودينياً، قدوة للبشرية جمعاء، له أهداف ومقاصد لا يزال الفكر البشري حتى عصرنا الحاضر يبحث جلاء غوامضه، وسبرَ أغواره، ويُلاحظ من خلال كتب ومصنّفات هذا المعلم الكبير، ونشر الأفكار الحرَّة المثالية في العالم الإسلامي، وتشجيع الناس على المجاهرة بها، بعد أن كانوا يخافون البحث بمواضيع عن أقل منها خطراً.

كان لتلامذة هذا الحكيم العظيم، الفضل على النتاج الفكري الإسلامي، والدخول إلى واقع فلسفة كونية عالمية خالدة، وقد ترك الفارابي للأجيال، أعظم ما يتركه العقل العرفاني من إنتاج وإبداع، بالرغم من وجود الاضطرابات والثورات التي نتجت عن النقمة العارمة على العباسيين.

وقد توصل الفارابي بالإيمان العميق إلى جوهر الحكمة العقلانية والعرفانية وتوصل إلى الحقائق الأبدية السرمدية ما وراء الطبيعة، وقد انتقلت نفسه العارفة من القوة إلى الفعل وشعرت بالسعادة، والزهد في هذا العالم الدنيوي المادي.

حياة الفارابي

ولد أبو نصر محمد الفارابي، في بلدة «وسيج» في بلاد الترك سنة 260 هجرية. ولما أصبح شاباً هاجر إلى بغداد بصحبة والده الذي كان جندياً فقيراً معدماً. وفي بغداد درس العربية، وتعلَّم النحو وقرأ العلم العرفاني، وتضلَّع في علم المنطق.

غادر بغداد سنة 329هـ إلى دمشق ثم توجّه إلى حلب، ولزم هناك بلاط سيف الدولة الحمداني أمير حلب، وكان معزّزاً مكرماً عنده، وقد اعتزل الناس واشتغل بالحكمة والتأليف.

يقول «ابن خلكان» عن كيفية دخول الفارابي على سيف الدولة، فيقول:

رأيت أبو النصر الفارابي لمّا دخل على سيف الدولة، وكان في مجلسه وقد جمع العلماء والفضلاء.

دخل الفارابي بزيّ تركيّ وهو زيُّه الدائم فوقف، فقال له سيف الدولة: اجلس فقال الفارابي: حيث أنا أم حيث أنت؟ فقال سيف الدولة: حيث أنت.

فما كان من الفارابي إلا أن تخطى الناس ثم جلس على مسند سيف الدولة، وزاحمه فيه، فتكلم سيف الدولة مع غلمانه بلغةخاصة بهم لا يعرفها أحد، وقال لهم: إن هذا الرجل أساء الأدب وإني سائله عن أشياء إن لم يعرفها أخرجوه، سمع الفارابي وعرف اللغة التي تكلَّم بها الحمداني، وقال

له: إصبر أيها الأمير إن الأمور بعواقبها، فعجب سيف الدولة منه وقال له: أتحسن هذه اللغة؟

فقال الفارابي: نعم وسبعين لغة معها، فعظُم عنده، ثم أخذ الفارابي يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس، في كل المواضيع من فنٍّ واجتماعيات وأديان وغيرها.

فلم يزل يتكلم حتى صمَتَ الكل، وبقي هو يتكلم، وصار العلماء يكتبون ما يقوله. بعد ذلك صرفهم سيف الدولة، وخلا به وقال له: هل تشرب؟ فقال: لا، فقال له: هل تسمع؟ فقال: نعم، فأمر سيف الدولة، القِيان فحضر العديد منهم، كل واحد مختص بنوع من الموسيقى وكلما حرَّك واحد منهم آلته، قال له الفارابي، لقد اخطأت في كذا وكذا، فقال سيف الدولة: وهل تُحسن هذه الصنعة، فقال له الفارابي: نعم. ثم أخرج من وسطه خريطة فتحها وأخرج منها عيداناً ركَّبها ثم لعب بها، فضحك كل من في المجلس، ثم فكَّها وركَّبها تركيباً آخر ثم ضرب بهاو فبكى كل من كان في المجلس، ثم فكَّها وركبها وضرب بها ضرباً آخر، فنام كل من كان في المجلس حتى البوّاب، فتركهم نيام وخرج. ويقال أن الآلة المسماة «القانون» هو أول من صنعها وركَّبها هذا التركيب.

كان الفارابي لا يأخذ من سيف الدولة سوى اربعة دراهم في اليوم يصرفها على عيشه، وكان لا يهتم لا بمظهر ولا بمنزل. وكان قاضياً في أول أمره، فلما امتلأت نفسه بالمعارف الإلهيةو وتكشَّف له الحق، ترك كل شيء، وأقبل على العلم فعظُم شأنه، وظهر فضله وصار واحد زمانه، وبقي زاهداً بالرغم من عظمة منزلته.

تذكر المصادر التاريخية، أن الفارابي كان يتنقَّل في بلاد الإسلام حتى دخل العراق، وفي بغداد عكَفَ على التعمُّق بالفلسفة واستخراج معانيها، فتناول بالبحث والشرح والتعليق على جميع ما وصل إليه من كتب أرسطو.

وقد وُجِدَ على احد كتب أرسطو، خط الفارابي يقول فيه: «إني قرأت هذا الكتاب مئة مرة». وسُئِل مرّةً، من أعلم أنت أم أرسطو ؟

فقال: لو أدركته لكنت أحد تلامذتِه. وفي بغداد ألَّف الفارابي أكثر كتبهِ ثم انتقل إلى دمشق، حيث عمل حارساً لبستان، مُعرِضاً عن المناصب الرفيعة التي عُرِضت عليه، وكان يسهر الليل للمطالعة، ويستضيء بقناديل الحرّاس.

قام برحلة صغيرة إلى مصر، ثم عاد إلى حلب، بعدها ذهب إلى دمشق مع سيف الدولة وأدركته الوفاة هناك سنة 339 هجرية، وله من العمر ثمانون عاماً، وقيل أن سيف الدولة حزن عليه حزناً شديداً، وصلى عليه ودْفِنَ في مقبرة (الباب الصغير).

مكانة الفارابي الفكرية:

عُرف الفارابي بأنه، كان متوقد الذهن، حاد الذكاء، رياضيّاً شاعراً، يتقن العديد من اللغات، وكان يحب الخلوة والإنفراد فلا يُشاهَد إلا بقرب الينابيع أو الأشجار الخضراء ويؤلف ويعزف أطيب الألحان، فأضحك وأبكى، وكان له معرفة في علم الطب. ويعتبر الفارابي، أول الفلاسفة العظام وقد درس علم المنطق، وجميع ما يتعلّق به من كتب صحيحة، فَسُمِيَ المعلِّم الثاني بعد أرسطو.

ألَّف كُتب ومصنّفات في مختلف العلوم في الطبيعيات والإلهيات وعلوم الدين كالفقه والكلام والرياضيات والفلك والموسيقى والمنطق. وقد أخذ ابن سينا عن الفارابي واستفاد من كلامه.

ابن سينا

(مختصر)

الدكتور
مصطفى غالب

إعداد
حياة شمس الدين

مقدمة

يُعتبر الشيخ الرئيس أبو على ابن سينا من كبار الفلاسفة والحكماء الذين قدَّموا للبشرية خدمات كبرى في مجال الفلسفة، والطب، والحكمة، والموسيقى.

وقد شغل ابن سينا الأوساط العلمية والفلسفية، والفنية والأدبية، على مرّ العصور بإنتاجه الضخم الذي شمل جميع الموضوعات العلمية، وقد شرح شروحات مفصَّلة دقيقة لحكماء اليونان، والعرب، والفرس، والهنود.

وأضاف لهذه العلوم. اكتشافاته الخاصة، وأفكاره المُبدعة، التي أحاطت كافة العلوم والمعارف الإنسانية.

وقد خصَّص ابن سينا لمعالجة النفس الناطقة حوالي ثلاثين رسالة، وفصولاً كاملة في كتبهِ العرفانية، وكتَبَ عدة قصص رمزية، منها: قصَّة حي بن يقظان، ورسالة الطير، وقصة «سلامان وابسال».

أوصل إبن سينا، بأبحاثه القيمّة التي قام بها، الفلسفة الاسلامية إلى درجة الكمال، وخطا خطوات عرفانية تعتبر بحق، مرحلة من مراحل تاريخ البشرية المشرف. وافكار إبن سينا الخلاقة المنبعثة من وجدانه العرفاني العميق، تؤكد على إيمانه الخالص الذي لا يتزعزع.

ابن سينا

يقول ابن سينا:

إن النفس جوهر روحاني قائم بذاته، تتصَّرف في أجزاء البدن، كما يتصرف المالك بملكه، وهي ليست محتاجة إلى الجسم، ولكن الجسم محتاج اليها، ولا يمكن للجسم ان يوجد بدون النفس، لأنها مصدر حياته وحركته ولكن النفس تعيش بدون الجسم وتنفصل عنه، وتصعد إلى العالم العلوي وتحيا حياة كلها بهجة وسعادة.

فالنفس إذن هي جوهر قائم بذاته، وبإتحاد النفس والجسم، تقوم النفس بوظفيتين كبيرتين، فهي تسوس الجسم من جهة، وتدرك المعقولات من جهة أخرى. ويرفض إبن سينا، أفكار الذين يقولون بتناسخ الأرواح، وعودة النفس بعد مفارقتها الجسد إلى جسد آخر، في مكان آخر.

وقد وصل إبن سينا إلى جوهر الفلسفة الما ورائية وطورَّها حتى صارت أوسع شمولاً من فلسفة الحكماء الإسلاميين جميعاً.

ويتفق إبن سينا مع حكماء الدعوة في السياسة المدنية، التي يجعلها إبن سينا، مستمدة من الله عن طريق النبي ثم الإمام الذي يخلف النبي، وتكون له الخواص النبوية، وهو الحاكم المطلق، يحق له ان يسن الشرائع ويُقيم العدل.

وفي قصصه الزمزية، وأبحاثه الفلسفية حول النفس يرى إبن سينا، بأن السعادة الحقيقية لا تُنال إلا بإعراضها عن الشهوات وتركها الملذات والخضوع للعقل، والتطلع إلى الملأ الأعلى وهذا ما يراه فلاسفة أهل الحق.

عرف باسم الشيخ الرئيس وسمّاه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب، ويعد ابن سينا من أول من كتب عن الطب في العالم، وقد اتبع منهج ابقراط وجالينوس.

وأشهر اعماله كتاب (القانون في الطب) الذي ظل لسبعة قرون متوالية، المرجع الرئيسي في علم الطب وتعلّمه في جامعات أوروبا حتى منتصف القرن السابع عشر.

مولد ابن سينا:

ولد الرئيس الشيخ أبو علي (ابن سينا) في سنة 37 هجرية في بلدة (أفشنه) في منطقة بخارى من أبوين إسماعيليان، وأمه سارة، وأبوه عبد الله من دعاة الإسماعيلية، جاء إلى بلخ وعمل موظفاً في حكومة السامانيين في بخارى.

كانت الحركة الإسماعيلية في أوج نشاطها تجوب أنحاء إيران، وكان يجتمع عند والده الدعاةُ الإسماعيلية.

أتمَّ ابن سينا دراسة الأدب واللغة قبل أن يبلغ العاشرة من عمره، ثم أكمل علومه العرفانية عند (أبي عبد الله النائلي) من كبار علماء عصره ودرس علوم المنطق وهندسة اقليدس، وكتاب (المجسطي) وسرعان ما فاق أستاذه. وقد كان ابن سينا شغوفاً بالعلم، وغاص في اعماق الجنس البشري لمعرفة جوهره الجسدي والنفسي، ثم عكف على دراسة الطب، وقرأ بإمعان وتروّي أكثر علوم عصره بما فيها الفلك والرياضيات، والفلسفة، والطب، حتى أصبح معلماً في الطب.

كان يتعهد المرضى ويبرع في علاجهم، وماهي إلا سنوات حتى شاع إسمه في الآفاق، فاستدعوه لمداواة الأمير نوح بن منصور الساماني، وقد نجح في معالجته نجاحاً باهراً أذهل العقول، فقربه الامير نوح إليه وأغدق عليه من نعمه، وسمح له ان يتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات والمصنَّفات، ويقول ابن سينا، أنها كانت مكتبة غنيَّة بالكتب النادرة، التي لم يكن يعرفها أحد من قبل، وللأسف قد احترقت هذه المكتبة بعد ذلك بوقت قليل.

وفي سنة 391ه غادر ابن سينا بخارى، وقد توفى والده، وقبله توفى الامير نوح الساماني. وقصد خوارزم واستقبله العلماء وكانت مركزاً للعلم والثقافة.

وبعد ذلك تنقل من بلد إلى آخر، واستقر أخيراً في أصفهان، يعمل في الدراسة والطب والكتابة، واعتلت صحته من توالي الرحلات الشاقة، والسهر الطويل، والعمل المستمر، فوقع ضحية المرض الذي اشتهر بمداواته (الزحار) وكان قد برع في علاجه، وقد عالج نفسه، ولكن القروح التي تسببت في شدة الداء أقعدته عن العمل، ثم بعد ذلك ساءت حالته، واشتد مرضه فلازم الفراش ولما اقترب أجله، استحم ونذر التوبة وأعتق عبيده، وتصدَّق بأمواله، وراح يقرأ القرآن ويجوِّده داعياً الله إلى خلاص نفسه، وفارق الحياة سنة 428 هجرية وقد أكمل الخمسين من عمره، فدفن في همذان، وقد شيدت له الحكومة الإيرانية ضريحاً مهيباً، ومكتبة ضخمة سميت باسمه.

آثار ابن سينا العلمية:

ألَّف ابن سينا أكثر من 276 كتاباً ورسالة، وهو أوَّل من وضع تآلف الأنغام الموسيقية، وقد نقلت أغلب كتبه إلى اللغات الأجنبية، وقيل أن كتابه (القانون) أعيد طبعه ثلاثين مرَّة خلال القرن السادس عشر الميلادي.

أشهر كتبه:

الشفاء، القانون، كتاب علم الاخلاق، كتاب في الموسيقى، كتاب علم النبات، وكتاب الإنصاف.

كان ابن سينا كثير الحركة والحيوية، يقضي الليالي بطولها في الكتابة والمطالعة تعرَّض خلال حياته للوشايات والمكائد، ومرات للقتل والسجن، وانغمس كثيراً في السياسة.

فلسفة ابن سينا:

تأثر ابن سينا بأفكار فلاسفة اليونان، مثل إفلاطون وارسطو وقد تأثر بالفارابي واعتمد فلسفته على ما ذهب اليه الفارابي في حكمه وأقواله.

ومن الكتب الفلسفية التي أتعبت ابن سينا وأعيته كتاب (ما وراء الطبيعة) لأرسطو، فقد قرأه أربعين مرَّة ولكنه عجز عن فهمه ويحدثنا ابن سينا عن هذا الموضوع فيقول: قرأت كتاب ماوراء الطبيعة، أربعين مرة، وصار لي محفوظ عن ظهر قلب، وأنا مع ذلك لا أفهمه ويئست من نفسي.

وفي أحد الايام كنت في سوق الوراقين وبيد أحدهم كتاب ينادي عليه، ثم عرضه عليّ فرددته، وأنا معتقد أن لا فائدة من هذا العلم، فقال لي اشتري مني هذا الكتاب إنه رخيص، أبيعك إياه بثلاثة دراهم، لأن صاحبه محتاج إلى ثمنه، فأشتريته فإذا هو لأبي نصر الفارابي عن كتاب ما وراء الطبيعة لأرسطو، ورجعت إلى بيتي وأسرعت في قراءته، فانفتح عليَّ معاني ذلك الكتاب لأنني كنت أحفظه غيباً وفرحت بذلك، وتصدَّقت في اليوم التالي بشيء كثير من المال إلى الفقراء، شكراً لله سبحانه وتعالى.

ومنذ ذلك الوقت حرص ابن سينا على مطالعة كافة أعمال الفارابي العرفانية، ووثق بأفكاره العقلانية الفلسفية، وقد تبناها في أبحاثه ونظرياته التي حدّدت معالم تفكيره الفلسفي وحكمته العرفانية.

وقد خصصَّ جُلَّ أبحاثه ومطالعاته حول النفس الإنسانية، وما تعانية من أمراض تحول دون سعادتها.

وقد كتب اكثر من ثلاثين رسالة عن النفس الإنسانية ومعرفتها.

كان ابن سينا ينظم الشعر باللغة العربية بأسلوب علمي سلس، ينم عن موهبةٍ شعرية.

وقد نظم قصيدة رائعة عن النفس البشرية.

ابن سينا والمنطق العرفاني:

يرى ابن سينا أن المنطق هو مدخل ضروري للفلسفة، لأولئك الذين لهم ميل للفلسفة ولا يستطيعون التفكير بالفطرة، تفكيراً صحيحاً.

أما الذين يمكنهم أن يستغنوا عن علم المنطق، كما أن البدوي مستغنٍ عن علم النحو بالفطرة والسجيَّة باللغة.

وعلم المنطق عند ابن سينا هو الذي يعصم الذهن عن الخطأ، وهو يجعل العقول تصل إلى الاعتقاد الحق، لأن بعض العلوم يساعد على اكتساب علوم أخرى، كعلم الرياضيات الذي يساعد على تعلم علم الفلك.

الحدس عند ابن سينا:

يرى ابن سينا أن المعرفة العقلية تكون بالتفكر أو بالحدس. والتفكر يكون بالتخيل والمعرفة السابقة المخزونة بالفكر، ثم استنتاج أمر من الأمور أما الحدس فهو معرفة مباشرة.

الإشراق عند ابن سينا:

الإشراق عند ابن سينا، ينطلق من الروح التي هي كالمرآة، فالمعقولات

ترتسم في النفس من عند الله، والناس متفاوتون في هذا الاستعداد لإشراق المعلومات في نفوسهم، فمنهم من تكون نفسه صافية أشد الصفاء، فلا تحتاج إلى عناء كبير للاتصال بالعقل الفعّال، فكأنه يعرف كل شيء من نفسه، وكأن فيه روحاً قدسية لا تشغلها شأن عن شأن.

ومنهم من يكون استعداده ضعيف، إذا مالت نفسه إلى الظاهر غابت عن الباطن، وعلاجه في هذه الحال، ان يعمل على اتساع معرفته عن حقائق الوجود، وحقائق العالم وعلل المظاهر التعددة، بأقل شيء من التأمل والتفكير.

العقل عند ابن سينا:

جعل عند ابن سينا العقول في خمسة مراتب:

1 ـ العقل الإنساني في أول اطواره

2 ـ العقل بالملكه، وهو المرحلة الثانية التي يتقبل فيها المعقولات الأولى.

3 ـ العقل بالفعل: وهو المرحلة الثالثة عند ما تضاف معلومات ومعقولات اخرى من العقل الفعّال.

4 ـ العقل المستفاد: هو العقل الذي تكون في الصورة المعقولة ثابتة وحاضرة فيدركها ويعقلها بالفعل.

5 ـ العقل القدسي: وهو من أرفع العقول وأسماها ولا يشترك فيها الناس جميعاً.

فمن الناس من يهبه الله شدة الصفاء وقدرة الاتصال بالعقل الفعال الذي هو الله، فترتسم في هذه العقول السامية، الكثير من الصور الموجوده في العقل الفعال، كعقول الأنبياء والعلماء والحكماء الذين وقفوا نفوسهم على استنباط العلوم الإلهية.

النفس عند ابن سينا:

لقد سبق ابن سينا كافة العلماء، من قبل ومن بعد، ومع أن اكثر آرائه فيها من أفكار أرسطو إلا انه له نظريات وتعليلات يخالف بها ارسطو، بسبب إيمانه العميق بالإسلام وعقائدة الحقَّة.

يعتقد ابن سينا، بأن النفس لها وجود سابق على وجود البدن، وكلما حدث بدن صالح للحياة حدثت له نفس خاصة به، ويكون البدن مملكة النفس وآلتها، والنفس لا يمكن ان تأتي من شيء مادي، لأنها مخالفة للجسم ولانها متصلة بالله.

والدليل على وجود النفس هناك طريقتان:

- طريق النظر العقلي، بالتأمل والتفكير وإدراك المعقولات، الذي لا يأتي عن طريق الحواس، فتدرك هذه المعقولات بقوَّة مخالفة للجسد وزائدة عليه، وهي غير الحواس التي لها أعضاء ظاهرة في البدن، وهي جوهرة روحانية وجزء من النفس الكليَّة.
- وطريق الحدس فيأتي عندما يدرك الإنسان انه موجود دائم، وأن وجوده متصل وفق البراهين الثلاثة التالية:

البرهان الأول: يقوم على استمرار الحياة العقلية فينا، فالجسد يتغيَّر وينمو بالغذاء ويهزل بالمرض. وتتعطل بعض أعضائه، أما إدراك الإنسان وشعوره ببقائه وتذكره لما مضى من عمره ومعرفته بالمحسوسات والمعقولات، فلا يتغير بذلك، وهذا دليل على أن النفس العاقلة مغايرة للبدن ولأجزائه الظاهرة والباطنة.

فالنفس إذن غير الجسد وهي جوهرة روحانية خالدة.

والبرهان الثاني: أن المعرفة تحصل عن غير طريق الحواس، عندما يفقد الإنسان عضواً من أعضائه يبطل الذي يتعلق بذلك العضو، ففقدان العين

وتلفها يؤدي إلى بطلان النظر، وفقدان الذراع يؤدي إلى بطلان تناول الإنسان الأشياء بالطريقة المألوفة والمعتادة.

ولكن ذاته أو نفسه العاملة، لا تتأثر في معارفها بشيء من ذلك.

وعندما يقول الإنسان: رأيت بعيني وسمعت بأذني، ومشيت برجلي، فإنما يعني ذاته ونفسه التي فعلت كل شيئ، فالعين كانت في الحقيقة هى آلة للرؤية، ولذلك يقول الإنسان دائماً أن رأيت أنا سمعت أنا مشيت فالذي يقصده ويدركه، فهو النفس، وهو مخالف للجسم والحواس المتصلة بأعضاء من جسمه. والبرهان الثاني: ان الإنسان قد يفكر أو يفعل وهو في اثناء ذلك كله، غافل عن بدنه وحواسه.

لذلك فإن النفس هي جوهرة روحانية غير قابلة للفساد، ولا تزيد ولا تنقص ولا تتألف من أشياء، بل قائمة بذاتها.

لا تحتاج في وجودها لشيئ هو غيرها. وهي روحانية وليست مادية ثم هي عندما تفارق الجسد، تكون قائمة بنفسها وليست محتاجة إلى الجسد، وهي موجودة مستقلة عن البدن.

وقد نظم ابن سينا قصيدة عصماء يحكي فيها عن النفس، وقد اعتبرها النقاد من أجمل شعره العرفاني، وأدعاها إلى الإعجاب والتقدير.

يقول ابن سينا:

هبطت اليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةً عن كل مقلة عارفٍ ... وهي التي سفرت ولم تتبرقعِ
وصلت على كرهٍ اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجّعِ
أنفث وما انِست فلما واصلت ... ألِفَت مجاورة الخراب البلقعِ
وأظنُّها نسيَت عهوداً بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنعِ
تبكي وقد نسيت عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تقلعِ

إذ عـاقـهـا الـشـرك الـكـثـيـف وصـدهـا قـفـص مـن الأوج الـفـسـيـح الأرفـعِ
حـتـى إذا قـرب الـمـسـيـر إلـى الـحـمـى ودنـا الـرحـيـل إلـى الـفـضـاء الأوسـعِ
سجعت وقد كُشف الغطاء فابصرت والـعـلـم يـرفـع كـل مـن لـم يـرفـع
وغـدت تُـغـرِّد فـوق ذروة شـاهـقٍ سـامٍ إلـى قـعـر الـخـفـيـض الأوضـعِ
إن كـان أهـبـطـهـا الإلـه لـحـكـمـةٍ طُويت عن الفطين اللبيب الأروعِ
فـهـبـوطـهـا إن كـان ضـربـة لازبٍ لـتـكـون سـامـعـة بـمـا لـم تـسـمـعِ
وهـي الـتـي قـطـع الـزمـان طـريـقـهـا حـتـى لـقـد غـرُبـت بـغـيـر الـمـطـلـعِ
فـكـأنـهـا بـرق تـألّـف بـالـحـمـى ثـم انـطـوى فـكـأنـه لـم يـلـمـعِ

^^^

وتنسب إلى ابن سينا بعض الرباعيات بالفارسية.

ومنها هذه الرباعية:

ما بين حضيض الارض وأوج زُحل استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
ونجوت بنفسي من أحابيل المكر والحيل حللت كل العقد، ما عدا عقدة الأجل...

^^^

الطب عند ابن سينا:

يعتبر كتاب (القانون) في الطب لابن سينا من أشمل وأوسع الكتب التي بحثت المواضيع الطبية في العصور القديمة، وحفظ الصحة، والمدواة والمعالجة، ووصف الأمراض لكل عضو في الجسم ثم وصف العلاج لها وكيفية تركيب الدواء.

وقد أوجد العلاجات لأمراض مستعصية: ودلَّ على كيفية تركيب الدواء لها، واعتمد في العلاج على تقوية المناعة في الجسم ليتغلب على الأمراض.

وعلم أن بعض الحالات النفسية، من الفرح والحزن، والخوف والقلق تؤثر في سير المرض. وكانت له معرفة بالطب النفسي، فقد دعي يوماً

لمعالجة شاب نحيل خائر القوى ضعيف البنية طريح الفراش، فعلم قبل ان يجس يده، انه لا مرض فيه، ولكنه عاشق متيم، ثم امسك بيد الشاب وطلب من الحاضرين أن يسرد أسماء المدن المجاورة ثم اختار مدينة، وطلب ذكر اسماء أحيائها وشوارعها ثم طلب ذكر اسماء الأسر في شارع معَّين، وعلم عندما لاحظ اضطراب نبض الشاب وتسارعه عند ذكر إسم المدينة بعينها، ثم ذكر الحيّ، ثم ذكر الأسرة المعنية، فعرف ان الشاب عاشق لصبية من تلك الأسرة.

ابن سينا والحكايات الرمزية:

اتخذ ابن سينا النموذج القصصي الرمزي لعرض آرائه الفلسفية فكتب حكاية يرمز فيها إلى العقل الفعال والنفس الإنسانية، والشهوات والغرائز، والمجادلة بين غرائز الإنسان وشهواته وبين الضمير والعقل، وسماها حي بن يقظان.

وهذا مقطع منها: يقول ابن سينا:

بينما كنت أزور أحد المنتزهات، رأيت شيخاً كبيراً في السن، ولكن يظهر عليه العزّ والقوَّة، فأحببت محادثته، وكنت مع رفاق لي، ولما دنونا منه بدأت بالتحية والسلام وصرنا نسأل عن أحواله، وعن نسبه.

واين يسكن وماذا يعمل؟ فقال: إسمي حي بن يقظان، أما بلدي فهو بيت المقدس، وأما حرفتي فهي السياحة في أقطار العالم... إلى آخر القصة...

أهداف رسالة حي بن يقظان:

من الواضح ان القصص الرمزية، والحكايات المبطنة بالإشارات الخفية التي لا يفهمها إلا من كان على درجة عقلانية رفيعة، تهدف إلى نشر أفكار

عرفانية تتفاعل وتتراكم في مخيلة الكاتب، لتجسد آراءه، وربما يخاف على إطلاقها صريحة، لما يحيط به من ظروف وعوامل سياسية أو دينية.

وخلاصة هذه الرساله هي:

أن جماعة خرجوا يتنزهون والتقوا صدفة بشيخ جميل الطلعة، حسن الهيئة، مهيب قد اكسبته السنون، وكثرة الرحلات والتجوال المستمر في أقطار الارض، تجارب وخبرة كبيرة وهذا الشيخ هو حي بن يقظان الذي يرمز إلى العقل الفعال، وهو الموجود الاول والمبدع الاول وهذه الجماعة التي التقت بالشيخ، ليست اشخاصاً من لحم ودم، إنما هي أرواح وملكات عقلانية، تستمد قواها من هذا الشيخ الذي هو العقل الفعّال.

وقد سألهم الشيخ عن كافة العلوم العقلانية والفلسفية وعن علم الفراسة، لأن علم الفراسة تكشف الأمور المجهولة والخفية، وتعرف النتائج العويصة، ويكون لها مقدمات ومعرفة عرفانية.

وهذه الرفقة التي تصحب الإنسان، هي ملكاته وشهواته وهي رفقة السوء.

وقوة التخيُّل رمز اليها ابن سينا، بشاهد الزور، لأنها قادرة أن تشبه الشيء بشيء آخر، زوراً وبهتاناً، لإيقاع الإنسان في الشر. وقد أشار بقوله: هذا الذي عن يمينك أهوج، والذي عن يسارك، قذر شره لا يملأ بطنه إلا التراب، وهو يرمز إلى القوة الغضبية التي جعلها على اليمين، والقوة الشهوانية على اليسار، ووصفها بالقذارة والشبق، لأن هذه القوى هي التي تمنع النفس من الوصول إلى الكمال والخلود.

ويقول ابن سينا، أن قوة الشهوة ملتصقة بالإنسان التصاقاً كبيراً، لا يبرأ الإنسان منها إلا بالانتقال إلى بلاد الغربة التي لم يطأها من قبل، وهو يرمز أنه لا انفلات منها إلا بخلع البدن بعد الموت.

ويقول: إن العقل هو الذي يرمز إليه حي بن يقظان.

ثم ان الرجل الذي نصحه العقل بهذه النصائح، طلب منه ان يدله على سبيل الخير فقال له: إن السبيل هو بطلب الفوائد العقلية المحضه، التي تعتبر أشرف وأفضل من الشهوات المتضادة المختلفة، عند ذلك تُحلِّق النفس في عالم العقول وترفل بالسعادة والهناء.

ويخلص ابن سينا من جميع الرموز والاشارات التي أوردها من رسالة حي بن يقظان هو العقل الفعّال، الذي هو سابق في الوجود، والذي يُستمد منه الخيرات، وهو الذي يمهد للنجاة من عالم الشهوات والضلالات إذا عُرفت وسُمعت كلماته وإرشادته.

ابن سينا واثبات النبوّات:

يقول ابن سينا، أن النبوات مرتبط بقوى النفس العقلية، لا الخيالية.

ويتحدث عن تفاصيل مراتب الوجود، بأن النبي هو أفضل من جميع الموجودات، معتمداً على الآيات القرآنية، والأحاديث المبنية على تفاصيل الأفكار العرفانية المطابقة للمبدأ والمعاد، وسرمدية النفس الإنسانية في النعيم والجحيم.

ابن سينا وخلود النفس:

استطاع ابن سينا، عن طريق التحليل والبرهان والمطابقة، إثبات أن النفس الإنسانية، روحانية، وهي تدرك المعقولات وتختلف عن طبيعة البدن، ووظيفتها تختلف عن وظيفته وهي لا تموت بموت البدن، ولا تقبل الفساد.

ابن سينا ونعيم الأنفس:

يقسِّم ابن سينا الأنفس البشرية إلى ثلاثة أقسام البشرية إلى ثلاثة أقسام من حيث الأفعال:

1 ـ إما ان تكون النفس البشرية كاملة بالعلم والعمل.

2 ـ أو تكون النفس ناقصة في العلم والعمل.

3 ـ وإما أن تكون النفس ناقصة في احدهما وكاملة في الآخر.

والعلم هو بحث عن ماهية الوجود والموجودات وعللها وأسبابها، إدراك حقائق العقول وجواهرها العرفانية والعمل، هو العبادة والقيام بالتكاليف الدينية الظاهرة وفق نصوص الشريعة الإسلامية.

والنقص في العلم والعمل، هو إنحراف عن طريق الحق، واهمال العبادتين العلمية والعملية.

وقد تكون النفس ناقصة في إحدهما، وكاملة في الآخر، فتكون بطبيعتها ميَّالة إلى عمل الخير، دون أن تدرك حقيقة الأمور العقلانية والابداعية.

ويرى ابن سينا أن هذا التقسيم ينسجم مع ما ورد في القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾.

ويشرح ابن سينا هذا التقسيم الثلاثي فيقول:

أما الكاملون في العلم والعمل فهم السابقون، ولهم الدرجة العليا في جنات النعيم.

أما أصحاب الميمنة، هم الكاملون في العمل الناقصون في العلم، فهم في المرتبة الوسطى وهؤلاء على مرّ العصور يلحقون بالسابقين.

واما اصحاب الشمال، فهم الناقصون في العلم والعمل، أو الكاملون في العلم وناقصون في العمل، فهم في المرتبة السفلى وهم الغارقون في ظلمات الطبيعة ويقول ابن سينا: أن العلاج الفعّال لشفاء النفوس المريضة

الغارقة في الشهوات هو الإهتمام بالعلوم الحكيمة العرفانية التي تنقل النفس من القوَّة إلى الفعل، حيث الهناء والسعادة الأبدية.

ابن سينا والعوالم الثلاثة:

يقول: إن أول ما خلق الله تعالى نور محض وهو العقل، وقد اتفق جميع الحكماء والاولياء والعلماء، أن الرسول قال: «أول ما خلق الله تعالى العقل، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز منك، فبِك أعطي وبك آخذ، وبك أُتيب وبك أعاقب».

وهذا العقل له ثلاث تعقلات:

أولها: أن بعقل خالقه تعالى.

والثاني: أن يعقل نفسه.

والثالث: أن يعقل الكون والوجود والعقل هو جوهر آخر.

متعلق بخالقه، وهو في شوق دائم للعقل الاول، ومتعلق به، إلا أنه في الترتيب دونه، ويأخذ النور منه ثم يعود اليه.

إن البراهين التي قدّمها ابن سينا ليثبت الفرق بين النفس العاقلة وبين الجسم التي حلّت به، أوردها ليؤكد ان مصير النفس غير متعلق بمصير البدن بعد أن تفارقه، فهي ستعود إلى العالم الذي انبثقت منه.

وهذا الرأي مطابق لنظريات أفلاطون وأرسطو والفارابي وإخوان الصفا وغيرهم من رجال المعرفة الحقّة

إخوان الصفا

(مختصر)

تأليف

الدكتور
مصطفى غالب

إعداد
حياة شمس الدين

مقدمة

جماعة إخوان الصفاو هي مدرسة عقلانية ارتكزت عليها المعتقدات الباطنية الفلسفية. وهي أكبر نهضة عرفانية عرفها التاريخ الإسلامي وقد اعتبر علماء الشرق والغرب أن فلسفة هذه الجماعة تجسِّد كل المراحل الإسلامية من أخلاق وسلوك اجتماعي ومعرفة حقانية.

ولا بد في البداية، من إلقاء نظرة شاملة على البيئة والعصر التي ظهرت فيه جماعة إخوان الصفا ونستعرض الأسباب التي بسببها وُجِدت هذه الجماعة.

كان العالم الإسلامي تعمُّه الفوضى والاضطرابات، وقد سادت النعرات الدينية والعصبية، وتزاحم الناس للحصول على المال والجاه، وساد الظلم في نظام الحكم، وأُزهقت آلاف الأرواح البريئة بسبب الحروب والفتن.

كان العباسيون قد اتخذوا من قرابتهم للنبي ﷺ سلاحاً لانتزاع الخلافة والقيادة الإسلامية من الأمويين، وقد استأثروا بالحكم والخلافة، ولم يشاركوا الهاشميين الذين هم أقرب نسباً للرسول والذين كان العباسيين قد قاموا بالاستيلاء على الخلافة باسمهم. فقد تآمروا عليهم وتتبعوهم بالقتل والتشريد والإبادة، وقد تنكروا لآل بيت الرسول، وعمدوا إلى إبعاد العناصر المؤمنة من مناصب الدولة، واستعاضوا عنها بعناصر شعوبية لا تمت إليهم بأي صلة، وصار الأقرباء وخاصة آل البيت، والفئات المؤمنة مشردون يتنقلون بالخفاء من بلد إلى بلد.

واستبدَّ الغرباء بكافة مرافق الدولة ومؤسسات الخلافة، وتلاعبوا بمصير الخلفاء، فأقيمت دويلات وإمارات وزعامات. وتحوَّل الخليفة العباسي ألعوبة في أيدي هؤلاء الوافدين.

كل هذه العوامل والأسباب ساهمت في قيام جماعةٍ من الحكماء، فكرّوا في واقع الأمة الإسلامية وسخَّروا كل ملكاتهم العقلية والروحية للإصلاح ووقفوا في وجه هذه التيارات المتصارعة، داعين إلى الفضيلة والتمسك بالدين الصحيح وجوهر القرآن، وفق مخططات علمية وشرعية إسلامية. وقد عمِلوا على إيجاد فلسفة عقلانية توحيدية أخذوها من القرآن والسنة، وتحدّثوا فيها عن وحدة الأديان وقالوا: إن دولة الحق والخير يجب أن تقام من العلماء والحكماء الأخيار من الناس يجتمعون على رأي واحد، ويعقدون بينهم ميثاقاً وعهداً ألّا يتجادلوا وأن ينصروا بعضهم بعضا، ويكونوا كنفسٍ واحدة في جميع أمورهم، وطلبوا من أتباعهم أن ينهجوا نهجهم في التوجه إلى تعلّم العلوم العرفانية، وأن لا يعادوا أي علم من العلوم، وأن لا يتعصَّبوا لمذهب من المذاهب، لأن مذهبهم يجمع المذاهب كلَّها.

كان هدف إخوان الصفا، هو زرع الأفكار الحرَّة في العالم الإسلامي، وتشجيع الناس على المجاهرة بها، من أجل إصلاح ما فسد من الأمور الدينية والاجتماعية، ومن أجل القضاء على الدولة الظالمة العباسية، التي كانوا يسمونها (دولة الشر) وليشيدوا على أنقاضها (دولة الخير) أو المدينة الفاضلة المرتكزة على الفلسفة والأخلاق والسلوك والعبادة الحقَّة. ومن أقوالهم: أن دولة أهل الشر قد تمادت في الظلم والإنحدار والإنحطاط، ولا بد من عمل الكثير لإصلاح الأمور.

هذه المنطلقات الإصلاحية، بثَّها إخوان الصفا في رسائلهم التي نشروها بين المسلمين، من دون أن يُعرف أصحابها حتى لا يتعرضوا لنقمة الدولة والخلافة العباسية القائمة. وقد قلبت هذه المفاهيم التي انتشرت بين الناس

رأساً على عقب، وأحدثت التغيير والتفاعل الذي ما تزال آثاره باقية حتى اليوم.

وقد أثرَّت هذه الأفكار العرفانية على الآداب والفلسفة الإسلامية، وعملت على النضوج العلمي، وعلى نهضة الحياة الروحية وما لها من إشعاعات وإشراقات. وقد أكَّد العلماء والمفكرين أن أول من أسَّس دائرة العلوم والمعارف في العالم العربي، هي رسائل إخوان الصفا، وهي التي مهَّدت الطريق لفلاسفة الإسلام، كالفارابي، وابن سينا، وابن رشد، والمجريطي، والكرماني، والمعرّي وغيرهم...

إخوان الصفا، هم أول الحركات الباطنية التي ظهرت في الإسلام على أساس ديني لا سياسي، ومؤسسي هذه الحركة هم حكماء وعلماء وكان لهذه الحركة أعداء في الماضي وفي الحاضر، وقد اختلقوا الأكاذيب الواضحة، بسبب التعصُّب والحقد. وبالرغم من أن واضعي هذه الرسائل، قد أحاطوا أنفسهم بالكتمان والتقيَّة، وتعمدوا إخفاء اسمائهم عن عامة الناس، زهداً في الشهرة وحرصاً على حياتهم المهدَّدة بالخطر في كل لحظة من السلطة، ومن الحكام والأمراء والخلفاء.

فقد راجت رسائلهم رواجاً عظيماً، أنارت الدروب المظلمة، لحملة الأفكار الإصلاحية الحرَّة في العالم الإسلامي، وشجعت الناس على المجاهرة بهذه الأفكار بدون خوف أو وجل، ومهَّدتا السبيل لثورة فكرية عارمة تمخَّضت عن تكوين جماعات سرِّية في الإسلام، وقد وجَّه علماء العرب والإسلام اهتمامهم لدراسة هذه الجماعة منذ ظهور رسائلهم، وحتى هذا العصر الذي نعيش فيه.

د. مصطفى غالب

إخوان الصفا

من هم جماعة إخوان الصفا؟

لم يستطع العلماء الذين حاولوا معرفة جماعة إخوان الصفا، أن يعرفوا اسماء هذه الشخصيات التي قامت بهذه الحركة السرّية في أواخر العصر العباسي. ولعلّ أوّل دراسة ظهرت كانت في عام 1837م كتبها باللغة الإنكليزية المستشرق «توماسون» بعنوان «**تحفة إخوان الصفا**» وقد ضمَّنها فصلاً من رسائل إخوان الصفا.

وفي نفس العام نشر المستشرق «نوورك» في برلين موجزاً وافياً حول إخوان الصفا باللغة العربية مع الترجمة الألمانية. وقد كتب بعد ذلك علماء عديدون عن هذا الموضوع وفي العام 1929م كتب المستشرق الفرنسي «ماسينون» كتابهُ الصوفية والإسلام، ثم أعقبه بدراسة تاريخية مستقلة ذكر فيها تصنيف الرسائل لإخوان الصفا.

وكذلك قام العلماء العرب والمسلمين وقد وجّهوا الاهتمام لهذه الجماعة التي أعطت من روحها ووجدانها أضخم موسوعة علمية في التاريخ، وممن قام بالجهود الطيبة والمفيدة، هم:

عمر الدسوقي، عمر فروخ، حسين همداني، جبور عبد النور، عبد الحميد الدجيلي، عادل العوا، وغيرهم..

ومما لا شك فيه، أن بذور حركة إخوان الصفا في أصلها هي من الحركة الإسماعيلية، وقد كان أحد المستشرقين (كازانوفا) قد قال: أؤكد أن آراء الإسماعيليّة توجد كلها في رسائل (إخوان الصفا).

ولكن المؤرخين العرب اعتمد أكثرهم على ما قاله أبو حيان التوحيدي، مع العلم أن ما قاله مبنيّ على التخمين غير الواقعي، ويعتقد الكاتب عمر الدسوقي، أن الشيعة الإسماعيلية يعتقدون أن مؤلف رسائل (إخوان الصفا) هو أحد أئمة أهل البيت، وهو أحد أحفاد جعفر الصادق (أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل). ويقول الدكتور حسين همداني، أن الإسماعيلية يروا أن الرسائل إخوان الصفا هو كتاب الأئمة والطبقة العارفة، ويقول أحمد القادياني: لما خشي الإمام أحمد بن عبد الله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية إلى علوم الفلاسفة، ألَّف رسائل إخوان الصفا، وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية.

ويقول «القفطي» في كتابه تاريخ الحكماء: ولمَّا كتم مصنِّفوا الرسائل أسماءهم، اختلف الناس فقال قوم منهم إن هذه الرسائل هي كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في اسم الإمام.

أما دعاة الإسماعيلية الذين كتبوا حول هذا الموضوع، فلا بد للاستماع إلى أقوالهم، لأن صاحب البيت أدرى بالذي فيه.

يقول الداعية إدريس عماد الدين: قام الإمام التقي أحمد ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بعد أبيه بالإمامة، وبث دعاته في الآفاق، واتصل به الدعاة، وهم يخفون مقامه ويكتمون اسمه. وكان المأمون العباسي قد احتال على الإمام علي بن موسى الرضا بن جعفر، وقد ظن أن أمر الله قد انقطع وحجته في الأرض قد ارتفعت بعد وفاة الإمام الرضا، فسعى إلى تبديل شريعة محمد ﷺ وتغييرها، وعمل على أن يعود الناس إلى الفلسفة اليونانية.

فخشي الإمام أن يميل الناس عن شريعة محمد ﷺ إلى زخرف المأمون، فألف رسائل إخوان الصفا،وفي هذه الرسائل جمع كل أنواع العلوم الفلسفية، في رسالة جامعة تقتصر على خلصاء شيعته وخيرة خاصته. ولتقوم الحجّة على المأمون وأتباعه، حين انحرفوا عن علم النبوّة، أمر الإمام أن تبثَّ هذه الرسائل في المساجد، فعلَّمها الناس، ثم وصلت إلى المأمون وعلم أنه لا يستطيع أن يقطع حبل الإمامة.

آثار إخوان الصفا

تذكر المصادر التاريخية أن جماعة إخوان الصفا قد ألَّفوا رسائل معروفة عددها اثنان وخمسون، ورسالة جامعية، ولهم كتب أخرى.

معرفة الله عند إخوان الصفا

يقول إخوان الصفا

إن الناس على اختلاف أهوائهم وتفكيرهم ميّالون بالفطرة إلى الإقرار بوجود كائن عظيم عاقل حكيم أرفع من جميع الموجودات، وهو المبدع والصانع، يتمتع بقوَّةٍ جبَّارةٍ عظيمة، وهو القوَّة الأصيلة الثابتة، وهي مرجع كل شيء، ذو كمال مطلق، ولا يحتاج لعلَّة خارجية تعطيه الوجود.

وهذا الموجود الذي أقرَّت به معظم الأمم والشعوب في كل زمان ومكان، وقف أمام قدرته العقل البشري، موقف الدهشة والعجز والتواضع، باعتباره العلَّة الأولى والغاية القصوى لكل الموجودات الحادثة، وهو أزلي لا مثيل له ولا شريك، لا بدء له ولا نهاية، ندعوه الله ونتوسَّل إليه في صلواتنا وعباداتنا الظاهرة والباطنة.

الله سبحانه وتعالى هو العلَّة الأولى التي يتعذّر إدراك ماهيتها، لأننا عاجزين عن إدراك وجودها. والعقل البشري مهما بلغ من السمو والإرتقاء،

يقف عاجزاً عن إدراك ومعرفة الله. هذه المنطلقات العرفانية، هي المحور الأساسي الذي تدور عليه كافة الشرائع والأديان في إيمانها بوجود الله، الخالق المبدع الذي نظَّم الطبيعة وسيّرها بقدرته الخارقة، أمرَ فكان الليل والنهار والكواكب بمنازلها وبروجها وأفلاكها والرياح بجريانها، والأرض وما عليها، فسبَّحت له الموجودات العلوية، وظلّت العقول خاضعةً لنوره.

إن فلسفة إخوان الصفا تنطلق من إثبات الخالق المبدع المصوِّر ولزوم عبادته، وتدعو إلى الإيمان بوجوده وتوحيده وتنزيهه. ويرى إخوان الصفا، أن الباري عز وجل هو خالق المخلوقات ومخترعها، وهو يتصف بالتمام والكمال، والبقاء الدائم.

حول خلق الإنسان

إن الباري لمّا خلَق هذا العالم العجيب وجعل الإنسان خليفته في أرضه، وأيدَّه بالعقل والروح الإلهية، ليتوصل بذلك العقل والروح إلى معرفة جميع ما في هذا العالم، وقد أقرَّ العقل بأن الله مستحق للعبادة وأنه خالقه ومبدعه، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن الباري هو المعشوق الأول، وإن الفلك يدور شوقاً إليه وهو أكمل الغايات، وأفضل النهايات.

وفي نظرهم: أن أجلَّ المعارف وأشرف العلوم هي معرفة الله ومعرفة صفاته، وأن بعض العلماء حاولوا أن يتكلّموا في ماهيَّة ذاته وأكثروا المقال، ولكنهم تاهوا عن المنهج الصحيح ولم يُفلحوا، ويعتقد إخوان الصفا، أن الله هو مبدأ الوجود وإليه تنتهي الحدود، فهو العقل الأول، وهو أجلُّ من أن يصفه الواصفون، أو ينعته الناعتون، وإنما يقال لا إله إلا هو إيماناً وتسليماً.

ويقول إخوان الصفا: إعلم أن مسألة الخلاف للذات والصفات الإلهية هي من إحدى المسائل الخلافية بين العلماء وبين المذاهب، وإن النفوس إذا تفكَّرت في ماهية الله، فلا تهتدي الظنون، ولا تسكن النفوس، ولا تطمئن

القلوب، فمن الناس من يعتقد أن الله تعالى هو شخص له صفات فاضلة وممدوحة وأفعال كثيرة، ولا يشبه أحد من خلقه، ومنهم من يعتقد أنه في السماء فوق رؤوس الخلائق جميعاً، ومنهم من يرى أنه فوق العرش في السماوات، وهو مطّلع على أهل السماوات والأرض وينظر إليهم، ويسمع كلامهم، ويعلم ما في ضمائرهم، ولا يخفى عليه خافية من أمرهم، ومن الناس طائفة أخرى، فوق هؤلاء العلوم والمعارف ترى بأن هذا الرأي باطل، ولا ينبغي الاعتقاد بأن الله تعالى شخص يحويه مكان، بل هو صورة روحانية سارية في جميع الموجودات ولا يحويه مكان ولا زمان، ولا يناله تغيير ولا حدثان، وهو لا يخفى عليه من أمر خلقه. أي ذرَّة في الأراضين والسماوات إلا ويعلمها.

ومن الناس طائفة أخرى فوق هؤلاء في العلوم والمعارف والعقل، ترى وتعتقد أنه ليس بذي صورة، بل هو نور من الأنوار الروحانية، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ومن الناس ممّن فوق هؤلاء، يرون أن الله ليس بشخصٍ ولا صورة، بل هو هويَّةٌ واحدانية، ذو قوّةٍ واحدة، وأفعال كثيرة، وصنائع عجيبة، ولا يعلم أحد من خلقه ما هو، واين هو، وكيف هو، وهو الفائض بالوجود والموجودات، والمبدع جميع الكيفيات بلا زمان ولا مكان، بل قال: كن فيكون. وهو موجود في كل شيء من غير مخالطة، ومع كل شيء من غير ممازجة.

يحذّر إخوان الصفا الناس من أن يتكلموا في ذات الله سبحانه وتعالى، ولا في صفاته، وأن لا يجادلوا إلا بعد تصفية النفس، حتى لا يؤدي ذلك إلى الشكوك والحيرة والضلال، ويقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: 8].

من هذه الأُسس العرفانية التوحيدية، صاغ إخوان الصفا فلسفتهم الإلهية، ودعوا الناس إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه وتجريده من المنطلقات

العلمية المنبثقة من صميم الكتب السماوية المنزلة، فكانت تعاليمهم المدماك الأول والأساس الذي شُيّد عليه مبدأ التأويل الباطني والتصوف في الإسلام.

ويعتقد إخوان الصفا: أن الجسد كالدار وأن النفس كالساكن في الدار وأن العلم والمعارف والحكمة للنفس، كتناول الطعام والشراب للجسد، فبالعلم تنمو وبالمعارف تضيء صورها، وبالرياضيات يقوى فكرها، وبالأداب تتسع لقبول الصور الروحانية، وتعلو إلى اشتياق الأمور الخالدة، وترقى إلى المراتب العالية. وإذا انتبهت النفس من نوم الغفلة، واستيقظت من رقدة الجهالة، وتشاهد الأمور الخفيَّة والأسرار المكنونة التي لا يمكن إدراكها بالحواس الجسمانية، ولا يشاهدها إلا من تخلصت نفسه بتهذيب خلقه. فإذا تعلَّقت النفس بتلك الأمور، تعلَّقت بها تعلُّق العاشق بالمعشوق، واتَّحدت اتحاد النور بهذا العلم الإلهي، ويكون الاطلاع في دار الدنيا عن كيفية النعيم المقيم، والملك العظيم، ومعرفة البعث، وإذا أكملت النفس طاعتها وبلغت نهايتها، واستحقت بأعمالها الزكية الانتقال إلى رتبة سماوية، وعند نزول الموت بساحتها، نزل إليها الملائكة الطيبون بالرأفة والرحمة، وتلقتها بالفرح والبهجة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وتبقى مع الملائكة ما شاء الله مطمئنة، وتبشرها الملائكة بحسن المنقلب والمآل.

ثم بعد ذلك إذا كان يوم القيامة وبلوغ النهاية، عرجت بها الملائكة إلى الجنَّات والنعيم المقيم، والملك الدائم، فلا يذوقون فيها إلا الموتة الأولى ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ وآخر دعواهم فيها أن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، أما الأرواح الساهية، والنفوس اللاهية، يكون خروجها من أجسامها، عند نزول الموت بساحتها وحلوله بها، والملائكة باسطوا أيديهم، وملائكة العذاب تتلقاهم بالسلاسل والقيود والأغلال والعذاب.

إن النفس قبل أن يحصل فيها أي علم من العلوم، كمثل ورقة بيضاء نقية، فإذا كتب فيها شيء حقاً كان أو باطلاً، فقد شُغل المكان، ومنع أن

يكتب فيه شيء آخر، ويصعب محوه. وهكذا النفوس إذا سبق لها علم من العلوم والآراء وتمكَّن منها حقاً أو باطلاً، يصعب قلعها ومحوها.

إخوان الصفا ووحدة الأديان

يقول إخوان الصفا: إن الأديان في جوهرها واحدة ولها غاية واحدة، وهي التعلق بالمثل الأعلى والتشبه به قدر الإمكان. وفي الرسالة الثانية والأربعون، تحدثوا فيها عن الأديان والعلوم الإلهية والشرعية، فقالوا: إعلم أن الناس مختلفون في آرائهم ومذاهبهم، كما هم مختلفون في أبدانهم ونفوسهم وأصنافهم، ويردّون هذا الإختلاف إلى ثلاثة:

- تركيب الأجسام والأمزجة.
- اختلاف البلاد والأزمان والأهواء.
- عادات الآباء والسنن والديانات المختلفة.

يتفاوت الناس في إدراكهم للمعلومات تفاوتاً كبيراً، فمنهم من يكون حاد البصر يرى الأشياء الصغيرة والبعيدة، ومنهم من يكون دون ذلك، ومنهم من لا يبصر شيئاً البتة، وهذا الحكم في ذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم.

إن إخوان الصفا يعتبرون الأنبياء هم المعلّمون للبشر كلُّهم، ومعلِّموا الأنبياء هم الملائكة المقرّبون ومعلم الملائكة هو الله عز وجل.

وهم يرون: أن الأنبياء لا يختلفون بالدين، لا بالسرّ ولا بالعلن، ولا في أي شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.

وأما الشرائع، فهي أوامر ونواهي وأحكام وحدود فهم فيها مختلفون، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وقال عز وجل: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ .

ثم علينا أن نعلم أن اختلاف الشرائع ليس بضار إذا كان الدين واحداً،

لأن الدين هو طاعة وانقياد للآمر، وهو النبي، وإن أوامر الأنبياء هي تشبه أوامر الطبيب الرفيق، لأن المريض يحتاج إلى الحميَّة لسلامة جسده، وكذلك أمراض النفوس فهي مختلفة، والعادات والآراء الفاسدة متفاوتة عند أهل كل زمان، ولذلك تكون الشرائع مختلفة بحسب ما يليق لكل أمة.

فشريعة نوح، وشريعة إبراهيم، وشريعة موسى وعيسى من بعده وشريعة سيّد الأنبياء محمد، عليهم السلام جميعاً فالأقوام مختلفة والأزمنة مختلفة. وقد قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ والذين أنكروا نسخ الشرائع، لم يعرفوا الفرق بين الدين والشريعة. أما الاختلاف بين الشريعة الواحدة، كالذي حصل بين طوائف اليهود، وبين طوائف النصارى، وكذلك بين طوائف المسلمين، فهو بسبب اختلاف المفسرين للمعاني، وبين العلماء في فهم الأسرار والحقائق الخفيَّة، ومنها اختلاف الأئمة الذين هم خلفاء الأنبياء، واختلاف الفقهاء في تفسير الشريعة والسنن. ولمّا كان الإنسان لا يخلو من محاسن وفضائل، ولا يسلم من المساوىء والرذائل، فإن أكثر الناس يتغنّون ويفتخرون بفضائلهم، ويغضّون الطرف عن رذائلهم ويسدلون الستار عن عيوبهم ومساوئهم، وصلاح الكل هو بترك الشبهات والتمسك بالحدود وقد قال الرسول ﷺ: «**إدرؤا الحدود بالشبهات**».

وإخوان الصفا، لا يلومون الناس على تمسُّكهم بدين آبائهم ومذاهب أسلافهم، ولكن عليهم الحذر من الحسد الذي هو أصل العداوة في الدين والدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فالحسد يخرب الديار، ويوقع الفتن ويورث البغضاء والحقد والظلم والجور، والحسد برأيهم هو أكبر العوامل في اختلاف الآراء والمذاهب.

ومن الطبيعي أن يتأثر بأفكارهم هذه، كبار العقلاء والعلماء والمفكرين، وخاصة العباقرة من المتصوّفة كالشيخ محي الدين (ابن عربي) الذي نادى

بدين الحب ووحدة الوجود، ووحدة المعبود، ووحدة طريق الصراط المستقيم.

الأنبياء والرسل عند إخوان الصفا

أفرد إخوان الصفا الرسالة السابعة والأربعون من رسائلهم، للبحث في ماهيَّة الناموس الإلهي وشرائط النبوّة، وخصال الأنبياء الذين اعتبروهم أطباء النفوس. وهم يرون أن النبوَّة، هي أعلى درجة وأرفع رتبة ينتهي إليها البشر. فإذا بلَّغ النبي الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، ودوَّن التنزيل وأحكام الشريعة، وأوضح المنهاج، وأقّسام السُّنة، وألَّف شملُ الأمة، ثم توفي ومضى إلى سبيلهِ، وبقيت تلك الخصال في أحد من أمته، فهو الذي يصلح أن يكون خليفته بعد وفاته. فإن لم تجتمع هذه الخصال في واحد ولكنها اجتمعت في جماعة، وكانت هذه الجماعة على رأي واحد، واجتمعت قلوبهم على محبة بعضهم، وتعاضدت على نصر الدين، وحفظ الشريعة وإقامة السنّة، وحمل الأمة بعد وفاة نبيّها، واختلفت في منهاج الدين، فتشتت شملهم وفسَدَ عليهم أمر آخرتهم وزالت عنهم دولتهم.

القيادة في مفهوم إخوان الصفا على نوعان:

القيادة الدنيوية، هي للجبابرة والملوك الذين يتسلطون على الناس بالغلبة والجور والظلم ويستعبدونهم لمصالحهم الشخصية وللتمتع بملذات الدنيا، أما القيادة الدينية الروحية، فهي لأصحاب الشرائع الذين يملكون النفوس والأرواح، ويعملون بالعدل والإحسان ويحفظون الشرائع، ويقيمون السُّنن الإلهية برقّةِ القلوب واليقين بنيل الثواب والفوز والنجاة والسعادة.

وعلى القائد أن يكون ذكياً، محباً للعلم الإلهي منقاداً له، محباً لأهل الصدق، حسن المعاملة، زاهداً في الدنيا، محباً للعدل، مبغضاً للظلم، منصف في حكمه، يساعد المظلومين، قوي العزيمة.

وعلى الجماعة المؤمنة، أن تسود المودة بينهم وتتفق كلمتهم، قال الله تعالى: ﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وإذا اجتمعت هذه الأمور في فئة مؤمنة، وصاروا كرجل واحد ونفس واحدة، وصار النبي أو الإمام لهم بمنزلة الرأس من الجسد، وهم كالأعضاء، عند ذلك يغلبون كل من أراد قهرهم وغلبتهم، وهذه المناقب والخصال، التي يجب أن تتوفر في القائم بالشريعة وأنصاره من بذل المال والنفس والأهل لصالح المؤمنين، والهدف من كل ذلك كله، ليس مصلحة النفس، أو مصلحة الأنصار بل الهدف هو الإصلاح لمن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

ويرى إخوان الصفا: أن الكتب السماوية هي تنزيلات ظاهرة وألفاظ مقروءة، ولكن لها تأويلات باطنية خفية ومعانيها مفهومة ومعقولة، واستعمال ظاهر الشريعة هو صلاح لمن التزم بها، ومعرفة الأسرار الخفيّة صلاح للمؤمنين العارفين في أمر معادهم وآخرتهم، ومن عمل بالظاهر والباطن وحصل على المعرفة الحقَّة فإن تلك النفوس تفارق الجسد وترتفع إلى رتبة الملائكة.

ويتعرّض الأنبياء والصالحين وأتباعهم، إلى شدائد وآلام من أجل إظهار الدين وإقامة الشريعة، ولكن بما أن الهدف هو الإصلاح الدائم، فتسهل المتاعب وتصغر، ومن أول ميزات النبوّة، هو حفظ الكتاب المنزل وتدوينه وتبيان قراءته، ثم تفسير معانيه وتأويله، ووضع السنن ومداواة النفوس المريضة من المذاهب الفاسدة والعادات الرديئة، والأعمال القبيحة، ومن واجب النبي نقل هذه النفوس وتشذيبها من تلك العادات والآراء ومحوها من الضمائر وإظهار عيوبها وذلك بالرأي السديد والترغيب في جزيل الثواب في يوم الحساب. ومن مهام النبوَّة تبيان الحلال والحرام، وتفصيل الحدود والأحكام في أمور الدنيا، وتفصيل الخاص والعام.

البعث والقيامة

يعتبر إخوان الصفا أن أشرف العلوم وأفضلها معرفة حقيقة الآخرة وأمر المعاد والقيامة، لذلك خصَّصوا الرسالة الثامنة والثلاثون من رسائلهم لهذا الأمر، وحاولوا أن يظهروا هذا العلم كأمثال مضروبة، لأن الأخبار على حقيقتها صعبة البيان، إلا على الأنفس الطاهرة، والقلوب الواعية، والآذان السامعة وقالوا: أن من يود الغوص في هذا العلم عليه أن يعرف حقيقة النفس والروح لأن معرفة البعث والقيامة يكون بعد معرفة النفس والروح.

ويقول إخوان الصفا: إن الغرض الأقصى من رسائلنا كلها، هو الحق المبين، والمنزلة العليا والصراط المستقيم وحبل الله المتين، والعروج إلى الغاية القصوى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4].

وإذا وفِّقتَ أيها الأخ البارّ الرحيم بروح من هذا العلم، فصنه واعمل فيه بموجب العلم وحق الأمانة، وإياك أن تدفعه إلى من لا يستحقه، ووضعه في غير موضعه، وبذله لمن لا يرغب فيه ولا يطلبه، وعلى العلماء الأبرار أن يخشون الله، ويضعوا الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وما على الرسول إلا البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله، واعلم يا أخي إيَّدك الله وإيّانا بروح منه، إن هذا العلم هو الغاية، وبمعرفته يكون الوصول إلى النهاية.

إنه علم البدء والمعاد، والدنيا والآخرة، والعقاب والثواب، والجنة والنار، والملائكة المقربين، والشياطين وجنود إبليس اللعين، والحق والباطل، والعالم والجاهل، والظلمة والنور، وعالم السماوات العلا، وسكان الأراضين السفلي، وكتاب الأبرار في أعلى عليين، وكتاب الفجار في سجين، وجنة الفردوس، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى وجنة المأوى، وجنة الخلد.

وهذه المباحث، علم غامض وسر لطيف ليس له وصول، إلا للمهذبين بالعلوم والإيمان والتصديق لقول المخبرين الصادقين عن الله عز وجل، الذين أخذوا هذا العلم عن الملائكة وحياً وإلهاماً بتأييد من الله العزيز الحكيم، أما الذين لا يرضون أن يأخذوا هذا العلم، تسليماً وإيماناً وتصديقاً، ويريدون براهين عقلية وحججاً فلسفية، فهؤلاء لا يحتاجون إلى أن تكون لهم نفوس زكية وأرواح طاهرة، وقلوب صافية، وآذان واعية، وأخلاق سامية، فلا يصل إلى هذا العلم إلا من كان أهله، ووفَّقه الله بعلمهِ، ومن كان من غير أهله فإنه لا يعلمه ولا يقف عليه، ولا يهتدي إليه، فعند ذلك يرجع بالطعن على صاحبه وتكفير واضعه، وينسب إليه الكفر والإلحاد، فهو من الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهم سوء العذاب.

القضاء والقدر:

يعتقد إخوان الصفا: أن من شروط الإيمان وخصال المؤمنين الذي يدل على إيمانهم، هو الرضا بالقضاء والقدر، وقد قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ وإن نفوس المؤمنين ترضى بقدر الله وقضائه الذي هو في علمه السابق. وليس على المؤمن إذا تعرَّض للبلاء والشدَّة إلا الصبرَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 154] وأما الكافر فيكون سيء الظن بالله، قلق النفس جزعاً من الشدائد، ساخطاً على المقادير، آيساً من روح الله، قانطاً من رحمته، : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

الجنة والنار عند إخوان الصفا

يعتبر إخوان الصفا أن من يعتقد بأن الله الرحيم الرؤوف يعذب الكفار والعصاة في خندق من النار غيظاً عليهم وحنقاً، وكلما احترقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً، عادت من جديد لتحرق مرةً ثانية، هذه الإعتقادات

برأيهم تؤلم أصحابها وتجعلهم يسيئون الظن برحمة الله وحنانه وينفون أن يكون هناك شياطين على رأسهم إبليس خلقهم الله ليسلطهم على عباده، وإنما هو الإنسان إذا بلغ أشده وعقل الأمور وفهم وصايا الله ووعده، ولكنه أهمل أمر الدين ولم يتّعظ، وانصرف إلى شهواته وملذاته وساءت سيرته وأعماله، كانت نفسه شيطانية، فإذا فارقت النفس الجسد صارت شيطانةً بالفعل وقد سلبت بموتها الحواس الخمس التي كانت تستعملها لملذاتها الجسمانية، فصارت ممنوعةً عنها بعدما اعتادتها في الماضي من عمرها، فلا هي تستطيع الرجوع إليها، ولا هي تبلغ النعيم لتستغني عنها، فيكون عذابها في شوقها إلى شهواتها المادية، وتبقى هائمة وهي مشتعلة بنيران شهواتها، وتكون معذَّبة بذاتها من وزر سيئاتها وسوء عاداتها إلى يوم القيامة الكبرى، فهذه هي جهنم الكفّار والأشرار والفساق والكفَّار.

ويعتقد إخوان الصفا أن جهنم هي عالم الكون والفساد، وأن الجنة هي عالم الأرواح وسعة السماوات وروح وريحان البريئة من الأمراض والآلام. فإن جميع ما نطق به الأنبياء عليهم السلام، من صفة الجنَّة ونعيم أهلها، وعذاب النار والعقاب وأحوال القيامة، كلها صدق وحق، ولكن ليس كما يعتقد الكفار والظالمون، بل أمر وراء ذلك لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

إن ما يقوله إخوان الصفا عن الجنة والنار نستنتج منه، أن هذه الجماعة العقلانية ترى أن ما ورد في الكتب المنزلة، وما جاء على لسان الرسل والأنبياء قول صدق لا شك فيه، ولكن النفوس المؤمنة الخيّرة عندما تفارق الأجساد، تكون ملائكة بالفعل، وهذا حسب اعتقادهم يعني الجنَّة، أما النفوس الشريرة إذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل، والآية الكريمة تقول: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾، وفي الرسالة الجامعية، حول موضوع دخول جهنم فتقول: اعلم يا أخي أن النار التي قال الله تعالى فيها: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وقال: ﴿وَإِن

مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾، هي عالم الكون والفساد، وكل النفوس الجزئية التي تردها أي التي فيها ولو قليل من الشر.

وأما من تذكَّر بما أُلقيَ إليه من الحكمة، وكيفية بعثه وهبوطه وورده إلى هذا العالم الدنيوي وكانت كل أعماله صالحة، فقد نجا وفاز وفارقها وتخلَّص منها وابتعد عنها إلى دار الكرامة والخلود الدائم فيها.

أما من كان غافلاً عن ذلك، فهو سيبقى جاثياً ملتصقاً بالأرض، وهو الإخلاد إلى الأرض والمحبة لها، ويكون دوامهُ فيها.

إن النفوس العاصية المنكرة لبارئها، المتخلِّفة عن الطاعةِ، المتكبّرة على الأنبياء بعلم ويقين كما يقول سبحانه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾، فإذا حلَّ الموت بهم ونزلت الملائكة الغلاظ الشداد إليهم، وتولَّت عذاب الأنفس الخارجة كليّاً عن الإنسانية، وهي عاصية لربها وجاحدة وكافره بشكل كامل. وينتقل إخوان الصفا، إلى وصف النفوس الطائعة والباب الذي تدخل منه إلى الجنَّة، وهو الموكل به (رضوان) خازن الجنان.

يقول إخوان الصفا: واعلم يا أخي أن النفس الطائعة، إذا أكملت طاعتها وبلغت نهايتها في الصورة الإنسانية، واستحقّت بأعمالها الزكية وما كسبته من أفعالها من صور ملكوتية، فإنها تنتقل إلى رتبة سماوية.

وعندما ينزل الموت بساحتها، ينزل عليها الملائكة الطيبون بالرأفة والرحمة، وتستقبلها بالروح والريحان، والفرح والبهجة والسرور. ثم إذا كان يوم القيامة وبلوغ النهاية، عرجت بها الملائكة إلى الجنان والنعيم المقيم والملك الدائم: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

أهمية العلم عند إخوان الصفا

ينظر جماعة إخوان الصفا لمن يريد العلم، وللمعلم والأستاذ، نظرةً

خاصة، تجسد كل معاني التعظيم والتبجيل والاحترام، لأن المعلم الحكيم العارف الذي يستطيع أن ينقل النفس إلى مرتبة الإنسانية، بما يبذره في هذه النفس من الحِكَم والمعارف الحقانية، فتتخلَّق بالأخلاق الجميلة، والآداب الصحيحة، فتصير تشبه أستاذها الذي يفيض عليها الخيرات والفضائل.

ويرى إخوان الصفا، أن المعلمون هم: الأنبياء والحكماء والربانيّون، الذين يزرعون الحكمة العرفانية في النفوس الإنسانية، ولكن يجب على الحكماء، إذا أرادوا فتح باب الحكمة لطلّابهم من المريدين، أن يروضوهم أولاً ويهذّبوا نفوسهم بالتأديب.

ويعتبر إخوان الصفا: أن من أعظم السعادات وأثمنها أن يوفق المتعلم بمعلم مرشد عارف بحقائق الأمور، عالم بأحكام الدين، بصير بأمور الآخرة، خبير بأحوال المعادّ، والمعلم والأستاذ، هو الأب الروحي للنفس، فكما أن الأب للجسد كان سبباً لوجوده، فإن المعلم والمرشد هو الأب الروحي الذي يرشد إلى السعادة الأبدية.

المحتويات

المقدمة 3
سيرة سقراط وحياته 4
سقراط وأفكاره العقلانية 7
أفلاطون 13
مقدمة 13
حياة أفلاطون : 14
أفلاطون والحكمة العقلانية: 16
المعرفة عند أفلاطون: 17
نظرية المثل الأفلاطونية: 18
الوجود عند أفلاطون: 18
أفلاطون والعالم: 19
النفس عند أفلاطون: 21
الاخلاق عند أفلاطون: 21
الفضيلة عند أفلاطون: 22
الجدل الصاعد والأخلاق: 23
أفلاطون ومدينته الفاضلة: 23
أفلاطون ومعادلة النفس: 24
أفلاطون والإنسان المخادع لنفسه في الطبع: 25

أفلاطون وانعدام اتفاق الاعراض الحالة في الجوهر: 27
أفلاطون ينصح نفسه بعدم مصاحبة الاشرار: 31
أفلاطون يقود نفسه إلى النجاة: 33
أفلاطون يستبدل الصاحب السيء بآخر خير: 34
النفس ترغب في النعيم والسرور وتزهد فيهما وتنحرف عنهما: 35
كيف سهت النفس عن ذاتها، وانهمكت بالرذيلة والشهوة: 36
النفس يلزمها الصبر حتى تصل إلى الظفر والفوز: 37
اللذة الحقيقية هي التي لا يُملُّ منها: 38
أحلام الدنيا ليست بشيء حق: 39
مقدمة 41
حياة أرسطو 43
مقدمة 46
حياة الفارابي 48
مكانة الفارابي الفكرية: 50
مقدمة 52
ابن سينا 53
يقول ابن سينا: 53
مولد ابن سينا: 54
آثار ابن سينا العلمية: 55
أشهر كتبه: 56
فلسفة ابن سينا: 56
ابن سينا والمنطق العرفاني: 57
الحدس عند ابن سينا: 57

الإشراق عند ابن سينا: 57
العقل عند ابن سينا: 58
النفس عند ابن سينا: 59
يقول ابن سينا: 60
الطب عند ابن سينا: 61
أهداف رسالة حي بن يقظان: 62
وخلاصة هذه الرساله هي: 63
ابن سينا وخلود النفس: 64
ابن سينا ونعيم الأنفس: 64
ابن سينا والعوالم الثلاثة: 66
وهذا العقل له ثلاث تعقلات: 66
مقدمة 68
إخوان الصفا 71
من هم جماعة إخوان الصفا؟ 71
آثار إخوان الصفا 73
معرفة الله عند إخوان الصفا 73
حول خلق الإنسان 74
إخوان الصفا ووحدة الأديان 77
الأنبياء والرسل عند إخوان الصفا 79
القيادة في مفهوم إخوان الصفا على نوعان: 79
البعث والقيامة 81
الجنة والنار عند إخوان الصفا 82
أهمية العلم عند إخوان الصفا 84